

دور مصر التاريخي بين  
شبه الجزيرة العربية وأفريقيا  
في عصور ما قبل الإسلام

تأليف

الدكتور سيد أحمد علي الناصري

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار النهضة العربية

٣٩ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

مطبعة جامعة القاهرة  
والكتاب الجامعي

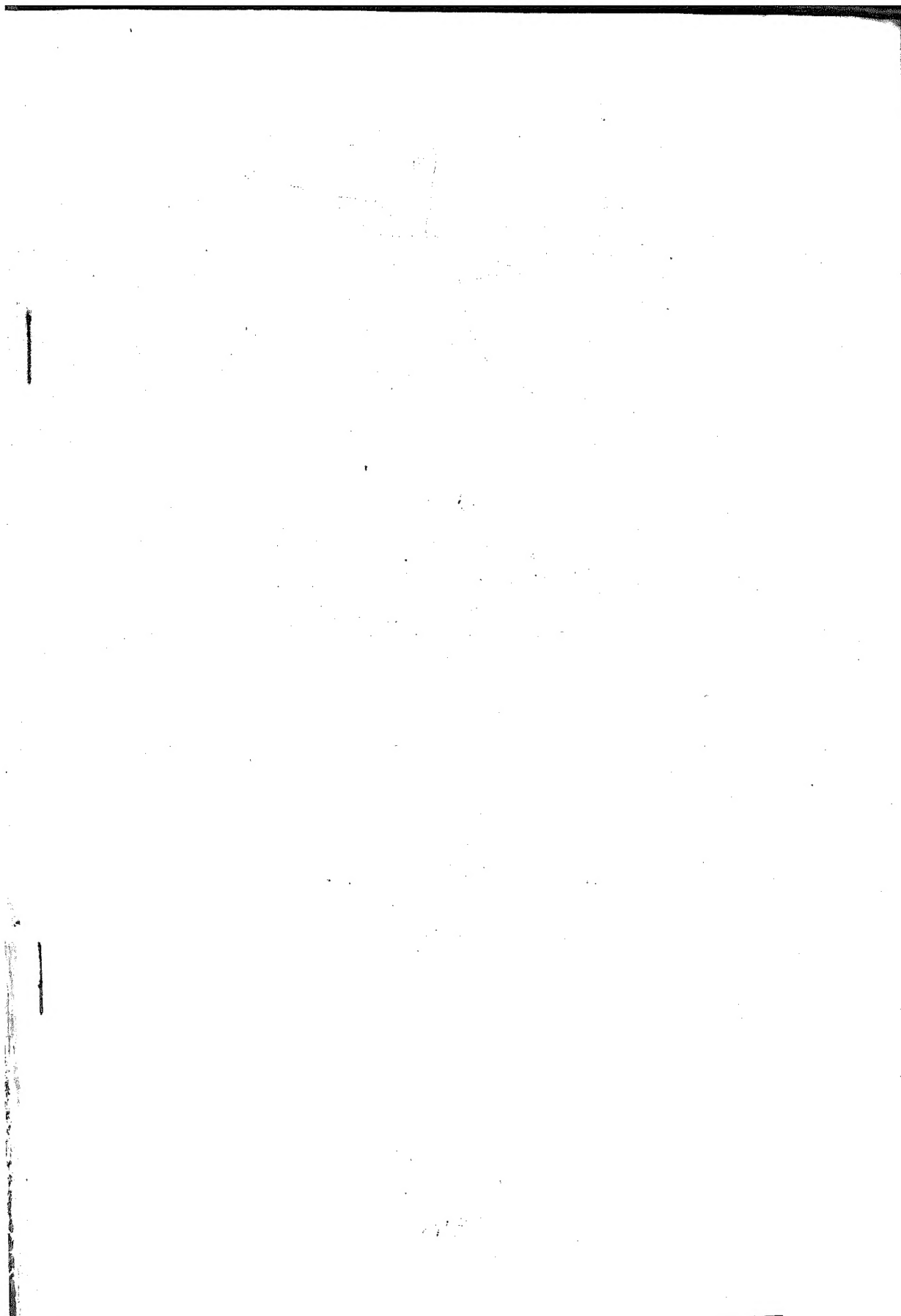
١٩٩٠



Bibliotheca Alexandrina



0027506



المكتبة العامة لكتبة الاسكندرية

رقم التصنيف: 932

رقم التسجيل: ٣١٥٣٥

رقم التسجيل: ٥٦٨١

د.د. سيد احمد على الناصري  
استاذ التاريخ القديم بأداب القاهرة

دراسات في تاريخ العرب القديم

المصريون والعرب وعلاقاتهم بافريقيا

في العصور القديمة

932  
٣١٥٣٥  
٣



General Organization Of the Alexan-  
dria Library (GOAL)

*Bibliotheca Alexandrina*

الناشر: دار النهضة العربية

١٩٨٩ - ١٩٩٠





## المصريون والعرب وعلاقاتهم بأفريقيا في العصور القديمة

بقلم

د. د. سيد أحمد على الناصري

استاذ التاريخ القديم - كلية الآداب - جامعة القاهرة

لم يحظ تاريخ أفريقيا في العصور القديمة بالاهتمام الذي يليق بتاريخ قارة هي واحدة من ثلاث قارات أقدم ما عرف العالم ، فقد غطى تاريخ الاستعمار الأوربي في العصر الحديث أفريقيا على تاريخها القديم بدرجة تعطى الإيحاء بأن تاريخ هذه القارة يبدأ مع وصول هذا الاستعمار ، وبأنه هو الذي حمل مشعل الحضارة والرقى الى الأرض الأفريقية ، وأن شعوبها - قبل وصول البيض - كانوا يعيشون في العصور الحجرية ، بالرغم من علمهم أن مجاورة أفريقيا للشرق الأدنى - مهد الحضارات الأولى في تاريخ العالم - جعل هذه الحضارات تفد الى الأرض الأفريقية قبل أن تفد الى قارة أوروبا ذاتها . هذا التشويه المتعمد أهمل ماضى هذه القارة السوداء ، أو مر عليه مروراً سريعاً أو أبرز منه الجوانب التي تخدم الهدف الاستعماري الأوربي . ومن ثم كان علينا أن نعيد الحق الى أصحابه ، ليس كأمة لها تاريخ عريق مع هذه القارة ، وتشغل جزءاً من أرضها ، ولكن كأمناء على تاريخ البشرية .

ولعل من الأسباب التي جعلت المؤرخين الأوروبيين يهملون ماضى أفريقيا هو ارتباطها الحضاري مع تاريخ العرب القديم ، وقبل وصول العرب الى شرق أفريقيا بوقت طويل ، كان المصريون قد مهدوا الأرض الأفريقية بحركات كشوفاتهم البرية والبحرية لسواحل شرق أفريقيا ، ثم قاموا في العصور البطلمية بنشر الحضارة والعمران في سواحلها ، وكذلك فعل الفينيقيون في شمال أفريقيا وغربها ، ولما وقعت قرطاجة في براثن

الأستعمار الرومانى ، ثم تلاها وقوع مصر واحتلال الرومان لها ، تسلم  
عرب الجزيرة رسالة المصريين والفينيقيين ، وبدأت الدويلات العربية فى  
الجزيرة قبل الاسلام تتفاعل حضاريا وبشرىا مع شعوب شرق أفريقيا ،  
مثمرة حضارة عربية أفريقية مشتركة تتمثل فى دولة الحبشة ، التى برزت  
على الساحة الدولية كثنائى قوة سياسية فى تاريخ أفريقيا بعد مصر ، ولما  
تدهورت الدولة الحميرية فى جنوب الجزيرة العربية لاسباب طبيعية وسياسية  
نتيجة لسيطرة الروم على مصر وشمال أفريقيا ، برزت دولة أكسوم  
الافريقية ، وبفضل ارتباطها السياسى والدينى مع امبراطورية الروم تمكنت  
من فرض هيمنتها على جنوب الجزيرة ، وحققت للروم ما فشل فيه  
الرومان \* فى حملتهم على الجزيرة العربية فى الربع الاخير من القرن الاول  
قبل الميلاد . وخلال القرون الثلاث السابقة على الاسلام ، تشابك تاريخ  
جنوب الجزيرة مع تاريخ الحبشة بدرجة يجعل من الصعب الفصل بينهما ،  
وبقدر يفوق تشابك تاريخ مصر فى العصور الفرعونية والبطلمية مع تاريخ  
شرق أفريقيا ومن ثم حتى لا يدرس هذا الموضوع مبتورا أو ناقصا ،  
لابد بالبدء بتاريخ النشاط المصرى فى أفريقيا ، باعتباره البداية ، التى  
مهدت للدور العربى - فتاريخ مصر يتشابك مع تاريخ العرب القديم بقدر  
تشابكه مع تاريخ أفريقيا . كذلك مهدنا للدور الذى لعبه الفينيقيون -  
أحد الفروع السامية التى خرجت من الجزيرة - فى شمال أفريقيا وغربها .



فى صخور الجبال عند الشلال الثانى ، تطل بضع قبور ذات نقوش  
هيروغليفية ، نفهم منها أنها قبور مسئولين رسميين فى بلاط الفراعنة ،  
كلفوا بالقيام برحلات استكشافية الى مجاهل القارة الافريقية . هؤلاء

---

\* الروم هم البيزنطيون أو الروم الشرقيون المسيحيون وهم الاسم  
الصحيح الذى ورد فى القرآن الكريم وفى المصادر العربية الاسلامية ، أما  
الرومان فهم سكان ايطاليا القدماء الوثنيون الذين سقطت امبراطوريتهم  
عام ٤٧٦ م . ويبدأ تاريخ الروم الشرقيين من القرن الرابع الميلادى .  
وينتهى بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٢ م فى أيدي العثمانيين .

هم الجنود المجهولون ، والرواد الاول ، الذين مزقوا أستار الغموض الذى كان يحيط بأفريقيا ، لقد سجلوا مغامراتهم المثيرة بين القبائل الأفريقية على نقوش مقابرهم (١) ، ولقد هلك بعضهم خلال رحلاتهم الشاقة على ظهور البغال والحمير ، وعاد البعض الآخر سالما ليلقى التبريل والتكريم من الفرعون . وأشهر هؤلاء المستكشفين الرحالة حرخوف ، والذى قص علينا كيف أن الفرعون مرنرع أرسله ثلاث مرات لاكتشاف مجاهل افريقيا ، وأن رحلته الرابعة كانت بتكليف من الفرعون بيبى الثانى ، والتى وصل فيها الى النوبة العليا والى اواسط أفريقيا ، حيث يعيش الأقزام ، وأن حرخوف جلب معه قرما ليضحك به مولاه الفرعون ، وقد عبر له الفرعون عن تقديره وشكره ، وسجل هذا التقدير على واجهة المقبرة (٢) .

انه لمن المدهش حقا أن نجد اهتمام المصريين باكتشاف مجاهل أفريقيا قديم قدم عصر الدولة العتيقة ، فالنقوش تتحدث عن نشاط الفرعون خع سخموى آخر فراعنة الاسرة الثانية ، والفرعون زوسر أول ملوك الاسرة الثالثة ، واهتمامهم بأفريقيا ، وأنهما بعثا برحلات برية توغلت فى بلاد النوبة ، كما واصل الفرعون ساحورع ثانى ملوك الاسرة الخامسة هذا النشاط وزاد عليه ، حتى أن علماء التاريخ المصرى القديم ينسبون اليه وضع مسار بحرى ثابت بين مصر وساحل الصومال . ولم يكن الدافع لهذه الحملات الاستكشافية الباهظة التكاليف هو الاستعمار الدائم لهذه المناطق النائية ، أو البحث عن منابع النيل ، بل كان الدافع هو الحصول على حاجة المعابد من البخور والعطور من أجل بقاء قيام الشعائر الدينية ، وكذلك الحصول على المواد الطبية اللازمة لعملية التحنيط والتى كانت تدخل أيضا فى نطاق الشؤون الدينية . ولقد التزم المصريون برباط مقدس لارضاء آلهتهم بقاء لمصر وللنظام الكونى ، فهذا هو الاصل الثابت فى العقيدة الدينية المصرية (٣) ، فالاهوال التى لاقاها الرحالة المصريون فى مجاهل أفريقيا لم تكن تقل أبدا عن المعاناة التى تحملها عشرون الفا من عامة الشعب فى عمل دائم لمدة عشرين عاما من أجل بناء مقبرة للفرعون المؤله والمثلة فى الاهرامات (٤) .

ولقد كانت مدينة أسوان ، هى نقطة الانطلاق المصرى للكشوفات البرية لمجاهل أفريقيا ، وذلك لان هذه المدينة من الناحية الاثنولوجية هى بداية أفريقيا ، كما كان معنى اسم « أسوان » فى اللغة المصرية هو « السوق » الذى تلتقى فيه تجارة مصر مع أفريقيا ، خاصة الأعشاب الطبية وسن الفيل الذى كان الفنانون المصريون فى حاجة مستمرة له ، ولهذا نجد أن جزيرة الفاتتين (أنس الوجود) كان اسمها بالمصرية القديمة « آب » ومعناها العاج . وهكذا هيأت الظروف الجغرافية لمصر أن تكون البوابة الشمالية لأفريقيا والتي توغل خلالها المصريون الى مجاهل وأعماق القارة السوداء .

ويذهب « آركل » Arkell الى أبعد من ذلك اذ يرى أن سكان منطقة وادى النيل الأزرق والأبيض كانت تربطهم علاقات حضارية مع مصر منذ عصر ما قبل الأسرات ، وأن العنصر الزنجى وعنصر البحر المتوسط وجدا فى وقت واحد فى أفريقيا (٥) ، فلقد لعب طريق الواحات ودرب الأربعين دورا هاما فى الربط بين مصر وأفريقيا وخاصة منطقة النوبة التى كان المصريون يكونون لها شعورا بالقداسة لارتباطها بالعقائد المصرية ، بل ربما كانت المهد الأول لها . فمثلا تذكر الاساطير الدينية المصرية أن النوبة هى مهد حورس الأدفوى ، كما صور المصريون أهل النوبة بلهى مقدسة لا يظهر بها المصرى الا بعد ارتحاله الى عالم اوزوريس (٦) ، ويرجح أن مبعث ذلك الشعور بالقداسة ، هو أن النوبة كانت مستودعا لكل متطلبات الشعائر الدينية وكهنوت المعابد من عطر وبخور ومواد تحنيط . ولقد وصل التوغل الثقافى المصرى حتى اقليم دارفور الواقع الى الجنوب من ليبيا ، بل ربما وصل الى تشاد واواسط أفريقيا . ولما كانت البذور الأولى للعقيدة المصرية أفريقية ، فقد تقبل الافريقيون العقيدة المصرية العائدة اليهم مرة أخرى من مصر بصدر رحب ، ففى النوبة نجد السكان يعبدون بشغف آلهة مصر مثل خنوم وآمون وحتحور ، كما أن مجمع الآلهة المصرية ضم آلهة أفريقية بحثه مثل بس Bes الرب الافريقى القزم (٧) .

ولقد ظلت حركة التبادل التجارى والثقافى نشطة بين مصر وأفريقيا عن طريق النوبة خلال عهود الدولة القديمة والوسطى ، وبلغت ذروتها فى عصر الدولة الحديثة . عندما قامت الملكة حتشبسوت فى حوالى عام ١٤٩٥ ق.م برحلة بحرية كبرى سيرتها الى بلاد « بونت » ، والباحثون يكادون يتفقون الآن على أن بونت كانت تشمل المناطق العربية والافريقية الواقعة عند مخرج باب المندب ، ولعل ذلك يشمل جزيرة سوقطرة هذه الرحلة رأت الملكة أنها عمل جدير بأن يسجل تصويرا على جدران معبدها فى الدير البحرى ، حيث تظهر السفن محملة بأخشاب الابنوس والعاج والبخور والكحل ونبات المر ، وبعض الاشجار الافريقية ، غير النسانيس والقردة ، وجلود الحيوانات وريش النعام (٨) . وهكذا عرفت خيرات أفريقيا طريقها الى العالم الخارجى عن طريق مصر ، وخلال ذلك تغلغلت الحضارة المصرية الى اواسط افريقيا وغربها . وكما يلاحظ العلامة فيرمان Fairman فان الآلات الموسيقية التى تستخدمها قبائل غرب أفريقيا تحمّل شباها كبيرا لآلات الطرب والموسيقى المصرية ، كما تأثرت الحضارة المصرية بالمؤثرات الافريقية خاصة فى مجال الشعائر الدينية والطقوس الملكية (٩) .

وبمرور الزمن تشبعت النوبة بالثقافة المصرية ، والتى هى فى الاصل افريقية الجذور ، حتى أنهم بعد تدهور القوة المصرية بعد انتهاء اسرة الرعامسة ، اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لثراث هذه الحضارة خاصة التراث الدينى ، لان الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التى سادت فى مصر منذ الاسرة العشرين ، دفعت عددا كبيرا من المصريين الى الهجرة الى الجنوب ، وأصبحت نباتا ( جبل البرقل فى النوبة ) مقرا بديلا لطيبة المصرية كمركز لعبادة آمون لحين عودة الوثام والسلام الى الشمال ، وربما كان ذلك فى بال ملكهم بعنخى ( ٧٥٠ - ٧١٦ ) عندما اجتاحت مصر ، فقد اقتدى بعنخى بسيرة الفراعنة العظماء الاوفياء للرب آمون وللمعابده وكهنته (١٠) ، بل ربما جاء احتلاله لمصر تلبية لدعوة من كهنة آمون فى

طية قبل أن يجتاحها الآشوريون . ولهذا لم يأل بمنحى جهدا في ترميم المعابد المصرية الأيلة للسقوط ، بل أقام معابد جديدة ، وتشهد الاهرامات والنقوش الهيرغليفية ونصوصها المقدسة المنقوشة على واجهات معابد النوبة على مدى حرص التوبيين في الحفاظ على التراث الحضارى المصرى . غير أن الحكم النوبى لمصر لم يستمر طويلا ، اذ رحلوا عنها تحت ضغط الآشوريين الذين دخلوا مصر عام ٦٦٧ ق.م.

عاد النشاط المصرى فى أفريقيا مرة أخرى بعد طرد الآشوريين ، وقيام اسرة وطنية جديدة هى الاسرة السادسة والعشرين ، والتي عرفت بالاسرة الصاوية . وكان الفرعون نخاو الثانى من أبرز ملوكها ( ٦١٠ - ٩٥٤ ق.م ) فقد قام هذا الملك بتنشيط تجارة مصر الخارجية عبر الطرق البرية والبحرية ، فقام بشق قناة تربط البحر الاحمر بالنيل ، كما أرسل بعثة لارتياح ساحل أفريقيا الشرقى (١١) ، ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد ، فبعد تسعة قرون من رحلة حتشبسوت الجسورة استعان نخاو بالبحارة الفينيقيين وبسفنهم الضخمة ، العابرة للمحيطات ليقوم بأول محاولة فى تاريخ الانسانية للدوران حول أفريقيا حوالى عام ٦٠٠ ق.م ، وقد كان خليج السويس نقطة انطلاق هذه « الاوديسا » البحرية ، وعادت السفن عن طريق مضيق جبل طارق ، ولا شك أن تنفيذ هذا المشروع كان يحتاج الى خيال خارق ، وشجاعة واقدام لا يتوفران الا فى فرعون مصر العظيم (١٢) ، حتى أن هيرودوت الذى روى لنا خبر هذه الرحلة تشكك فيها نفسه فيقول بالحرف الواحد « يتضح جليا أن ليبيا ( يقصد افريقيا ) محاطة بالبحر فيما عدا من جهة حدودها مع آسيا ، وأول من أثبت ذلك هو نخاو الملك المصرى ، فبعد أن توقف عن ( مشروع ) القناة التى كان قد بدأها بين النيل والخليج العربى ( يقصد خليج السويس ) ، أرسل الى البحر عددا من السفن ، جهزها بالفينيقيين وأصدر اليهم الاوامر بالابحار نحو أعمدة هرقل ( مضيق جبل طارق ) وأن يعودوا الى مصر من خلال عبورها وعن طريق البحر الشمالى . ولقد بدأ الفينيقيون

رحلتهم من مصر عن طريق البحر الاحمر ، ومنه أبحروا الى المحيط الجنوبي ، وعندما كان يحل الخريف ، كانوا يلقون بمراسيهم عند ساحل أى مكان تصادف وجودهم فيه ، ثم يزرعون بقعة من الأرض بالقمح ، وينتظرون حتى يصبح القمح معدا للحصاد ، حتى اذا حصدوا الزرع ، عاودوا الابحار ، الى ان انقضى حولان كاملان ، وفى السنة الثالثة ، داروا حول أعمدة هرقل ، وعبروها عائدين الى مصر ، وبعد عودتهم أعلنوا - وأنا نفسى لا أصدق ذلك - وان كان البعض يصدقونه - أنهم عندما كانوا يبحرون حول ليبيا كانت الشمس تطالعهم عن يمينهم ، وبهذه الطريقة ، اكتشف لأول مرة امتداد أفريقيا « (١٣) » . ونلاحظ من الوصف السابق أنه جاء مقتضبا وخاليا من أى تفاصيل حول الوصف الجغرافى والبشرى للمناطق التى مر بها البحارة ، وربما أخفى البحارة الفينيقيون التقرير الوصفى عن الفرعون ، واحتفظوا به لانفسهم ، لاستخدامه فى أغراضهم التجارية مستقبلا (١٤) ، فمن المعروف أن الفينيقيين كانوا من عادتهم الاحتفاظ بأسرار نتائج رحلاتهم البحرية لانفسهم ، لكن مهما يكن من مجهود الفينيقيين والذى أشاد به الاستاذ جورج فاضلو حوراني ، فإن الفضل يرجع الى تخطيط فرعون مصر ، وامكانياته التى وضعها فى خدمة البحارة الفينيقيين الذين اكتراهم ، ويذكرنا بملوك أسبانيا والبرتغال فى عصر الكشوفات الجغرافية فى مطلع العصر الحديث ، عندما كانوا يستخدمون بحارة من غير جنسياتهم للقيام بمشروعات وكشوفات بحرية لحسابهم وبتمويل خاص منهم ، وكان هدف الفرعون الاستراتيجى من هذه الرحلة ، هو اكتشاف طريق تجارى جديد يمر بأغلب شواطئ أفريقيا ، خاصة الغربية بعيدا عن خطر الفرس الذى كان يهدد الشرق الادنى فى ذلك الوقت ، وكان من مصلحة البحارة الفينيقيين أن يتعاونوا مع هذا الفرعون من أجل استكمال معرفتهم بأفريقيا ، حتى يتمكنوا ربط أسواق غرب أفريقيا بمستوطناتهم فى شمالها (١٥) ، وبذلك يتجنبون المرور فى شرق البحر المتوسط حيث يتعرضون لمضايقات سفن البحارة الاغريق،

ولعل قصد هيرودوت بالفينيقيين هو القرطاجيون ، الذين كانوا أقرب انصالا بمصر وجيرانا لها في الغرب ، ويرى الاستاذان كاري وورمنجتون Gary & Warmington أن من الدوافع التي شجعت البحارة الفينيقيين على قبول تنفيذ مشروع الفرعون هو ما سمعوه من التجار العرب عن الذهب الموجود بالقرب من زمبابوى<sup>(١٦)</sup> . هذا النجاح الذي حققه الفرعون كان على الاوربيين أن ينتظروا واحد وعشرين قرنا من الزمان قبل أن يقوم « فاسكو دى جاما » بالدوران حول افريقيا عام ١٤٩٧ م .

وفي عصر الدولة الصاوية أيضا زادت هجرات المصريين الى أفريقيا ، فقد كانوا يتسللون تلقائيا في أوقات الضيق والسخط الى الجنوب الافريقي ليستوطنوه ، ويمتزجوا بسكانه ويذوبوا فيهم ، فيروى لنا هيرودوت حكاية طريفة حدثت في عهد الملك «أسماتيك الثاني» من ملوك الدولة الصاوية أيضا ، هذا نصها « في عهد الملك أسماتيك ، وضعت إحدى الحاميات في مدينة الفاتنين في مواجهة الاثيوبيين ، وأخرى في دافناى ( تل دفنة على مقربة من فرع النيل الشرقى ) في مواجهة العرب والسوريين ، وأخرى في ماريا في مواجهة ليبيا » ثم يستطرد بعد ذلك قائلا « ظل هؤلاء المصريون يقومون بالحراسة في الفاتنين ثلاثة أعوام ، ولم يأت أحد لبعغيهم من هذا العمل ، فتشاوروا وقرروا بالاجماع التمرد على « اسماتيك » والذهاب الى اثيوبيا ، ( المقصود باثيوبيا في المصادر الكلاسيكية هو بلاد النوبة وشمال السودان ، وليس الحبشة التي اتخذت هذا الاسم القديم لها في العصر الحديث ، ولذلك يقع كثير من الباحثين في هذا اللبس ) . فلما علم الملك بذلك ، اقتفى أثرهم ، وعندما لحق بهم ، حاول كثيرا اقناعهم بالا يهجروا آلهة آبائهم ، وأولادهم ونسائهم ، ولكن يقال أن أحدهم أشار الى عورته قائلا اينما وجدت هذه فسيكون لهم أطفال ونساء . ولما وصلوا الى اثيوبيا قدموا أنفسهم الى ملك الاثيوبيين الذى كافأهم كما يلي : اختلف معه بعض الاثيوبيين ، فطلب من المصريين أن يطردوهم ويسكنوا أرضهم ، ولما أقام المصريون بين



الاثيوبيين صار هؤلاء أكثر تمدينا ، وذلك لانهم تطبعوا بالطباع المصرية» (١٧) •

ولقد كانت مصالح مصر في القرن الافريقى ترتبط دائما بمصالحها في جنوب غرب الجزيرة العربية ، فقد سبق أن ذكرنا أن أغلب الباحثين يعتبرون بلاد بونت التى كان المصريون يتاجرون معها تشمل المناطق الواقعة على جانبى مضيق باب المندب سواء من الجانب العربى أو الجانب الافريقى بما فى ذلك جزيرة سوقطرة (١٨) ، كما ان التركيب الاثنولوجى للشعب المصرى ووضع مصر الجغرافى جعلها حلقة وصل بين العنصر العربى السامى والعنصر الافريقى منذ فجر التاريخ ، فسكان مصر فى العصر الحجرى القديم الأعلى كانت لهم قرابة مع أجناس شمال غرب أفريقيا ، وفى العصر الحجرى الحديث دخل العنصر السامى ، ثم توالى توافد المهاجرين اليها من الصحارى الأسبوية العربية والتى استقرت فى صحراء مصر الشرقية ، وهذه القبائل هى التى أصبحت حلقة الوصل بين سكان مصر وسكان الجزيرة العربية وبالتالي الشعوب الافريقية ، وبالرغم من أن الهجرات العربية القديمة الى وادى النيل لم تكن شاملة وكافية ، فقد كان أغلب سكان مصر من السلالات الافريقية مع قرابة واضحة بالعناصر الحامية القادمة من غرب أفريقيا عن طريق ليبيا ، الا أن العلماء يخلصون الى وجود اتصال عرقى بين أهل مصر وشعوب أفريقيا وسكان الجزيرة العربية منذ عصر فجر التاريخ (١٩) ، كذلك وأن موقعها الجغرافى جعلها تقوم مقام الجسر الذى يربط بين بلاد العرب وأفريقيا ، فقد كانت ممرا للموجات الهجرات من الجزيرة العربية الى الشمال الافريقى وأقدم مثل على ذلك نجده فى هجرة البربر الذين تدل الابحاث على أنهم تحركوا فى العصر الحجرى الحديث من عمان أو اليمن ثم الى القرن الافريقى ، ثم عبر الصحارى المصرية حتى شمال أفريقيا ، حيث اختلطوا بشعوبها الافريقية ، مكونين امتزاجا بين العنصرين الافريقى والعربى فى المجالات الحضارية واللغوية والدينية (٢٠) • ولقد كان الجغرافيون القدماء حتى منتصف

الآلاف الأول ق.م يعتبرون قارة أفريقيا جزءا من قارة آسيا ، لكن منذ عام ٥٠٠ ق.م بدأوا يفصلون بين هاتين القارتين ، فجعلوا صحراء مصر الشرقية أى الواقعة الى الشرق من النيل هى الحد الفاصل بين قارتي آسيا وأفريقيا (٣١) ، فمثلا يعتبر هيروودوت هذه الصحراء ليست جزءا من مصر بل جزءا من الجزيرة العربية ، فقد أطلق على خليج السويس اسم الخليج العربى ، وجعله الحد الفاصل بين أفريقيا وبلاد العرب (٣٢) .

بدأ دور دول الجزيرة العربية على الساحة الدولية منذ القرن الحادى العاشر ق.م عندما تدهورت القوتان العظيمان فى الشرق الادنى وهما مصر وبلاد الرافدين ، وعلى اثر ذلك أخذت دويلات صغيرة فى جنوب شبه الجزيرة فى الازدهار الاقتصادى معتمدة على التجارة الشرقية والافريقية ، كما ورث الفينيقيون فى الشمال القوة البحرية المصرية فى البحر المتوسط (٣٣) ، وأخذوا ينتشرون بحريا فى غرب البحر المتوسط وساحل شمال أفريقيا حيث أقاموا عددا من المستوطنات ، أهمها مستعمرة أوتيكا فى تونس وذلك فى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد وكذلك مستعمرة « كريات حداشت » أى « القرية الحديثة » التى عرفت عند الرومان قرطاجة . واختلط المهاجرون من ساحل الشام بالسكان البربر والافريقيين مكونين عنصرا جديدا هو العنصر البونيقي والذى يجمع بين الدم السامى والدم الهامى . ولقد كان هم القرطاجيين الأول هو البحث عن أسواق جديدة ومناطق انتاج المواد الخام . وقد استغلوا موقعهم وبدأوا يتاجرون مع الشعوب الافريقية جنوب الصحراء وأقاموا طرقا تجارية معها ، ولقد روى هيروودوت خبر رحلة قام بها خمسة رجال من جنوب ليبيا وكيف توغلوا فى الاراضى الافريقية حتى وصلوا الى مدينة تجارية تقع على نهر عظيم ، ورغم أن هيروودوت اعتقد خطأ أن هذا النهر هو أحد فروع نهر النيل ، لكنه كان على ما يبدو نهر النيجر ، وربما كانت هذه المدينة مدينة تمبكتو الافريقية الشهيرة فى نيجيريا (٣٤) . ولقد رصد الاثريون طريقين رئيسيين للتجارة القديمة بين شمال أفريقيا ووسطها ،

أولهما يبدأ من جرمه (فران) ويمر بمستوطنة لبدة البونيقية Leptis Magna ثم غدامس ، أما الطريق الثاني فيبدأ أيضا من جرمه مارا بقرى « هون » و « بونجيم » حتى ينتهى عند لبدة . وكانت قوافل القرطاجيين تقطع هذين الطريقين حاملة أشهر منتجات أفريقيا الى أسواق البحر المتوسط (٢٥) ، فقد أصبح ميناء اوستيا الرومانى فيما بعد مركزا لتلقى المنتجات الافريقية (٢٦) ، وكانت القوافل تعود الى قبائل جنوب الصحراء الافريقية محملة بالسلع القادمة من عالم البحر المتوسط مثل الزجاج والملح والنيذ والقمح (٢٧) والتي عثر على بعضها فى مقابر « جرمه » .

ولقد اتسمت علاقات المستوطنين الفينيقيين مع القبائل الافريقية بالتعاون ، فقد ذكر هيرودوت أنهم تعاونوا مع قبائل « الماكاي » الافريقية للهجوم على المستوطنات الاغريقية فى ساحل شمال أفريقيا حوالى عام ٥١٧ ق.م (٢٨) كما أدى ازدهار « قرطاجة » الى اقامة المزيد من المستوطنات فى شتى أجزاء الشمال الافريقى مثل لبدة واويا وصبراتة اللاتى كانت توابع لقرطاجة ، وكان من نتيجة ذلك تطور طرق الزراعة بين الافريقيين ، فقد ادخل الفينيقيون المهاجرون معهم أنواعا جديدة من الفاكهة والمحاصيل ، واهتموا بزراعة الزيتون ، كما اهتموا بهندسة الري وبناء السدود لحجز مياه الامطار ، كل ذلك طور الحياة الاقتصادية والزراعية والحضرية فى أفريقيا ودفعها قدما الى الامام .

وفى القرن الخامس ق.م كانت الاسرة الصاوية قد سقطت بفعل تعاظم قوة الفرس الذين اكتسحوا الشام ومصر وجزءا من شمال أفريقيا ، ولقد تعاون الفينيقيون مع الفرس ، فكلاهما معاد للاغريق وأصدقائهم المصريين ، وكان ذلك من أسعد أيام الفينيقيين فقد حقق الفرس لهم مظلة من الحماية ، ومن ثم شهد القرن الخامس نشاطا بونيقيا غير معهود فى التجارة مع أفريقيا السوداء . وكنا قد رأينا كيف أن الفينيقيين تعاونوا مع الملك نخاو فى القرن السادس فى القيام برحلة بحرية حول أفريقيا ، لان مصر كانت لاتزال القوة البحرية الكبرى فى شرق البحر المتوسط ،

والآن وبعد ان دهمها الفرس وحولوها الى مجرد ولاية من ولاياتهم ، أصبح الطريق مفتوحا أمام الفينيقيين للاستفادة العملية من نتائج رحلة الدوران حول أفريقيا ، اذ شهد القرن الخامس ق.م رحلات بحرية كبرى قام بها القرطاجيون الى سواحل أفريقيا الغربية ، فيروى أن البحار الفينيقي حانون Hano - كما جاء في الترجمة الاغريقية لنص فينيقي كان محفوظا في معبد « بعل حامون » في قرطاجة - قد أبحر حول الساحل الافريقي وربما وصل الى خليج غينيا ، ويرى البعض أن رحلة « حانون » قد توقفت عند سير اليون الحالية ، بينما يرى آخرون أنها توقفت عند الجابون أو الكاميرون (٣٩) . ويروى الكاتب الاغريقي آثينايسوس Athenaeus بشيء من المبالغة قصة رجل قرطاجي اسمه ماجو Mago عبر الصحراء الافريقية ثلاث مرات دون أن يتذوق طعم الماء (٣٠) ، وهذا رمز لنشاط المدن البونيقية في شمال افريقيا في عبور الصحراء الكبرى الى قلب أفريقيا السوداء للتجارة ، وبفضل هذه الرحلات البحرية اكتشف البونيقيون جزر ماديرا Madeira وجزر الكاناري والازور القريبة من ساحل أفريقيا الغربى (٣١) ، ولم يكتفوا بتوصيل منتجات أفريقيا الى أوروبا ، بل أوصلوها الى الحجاز اذ يذكر موسكاتى أن مدينة « دادان » ( العلا ) كانت مركزا لنقل البضائع الافريقية التى يجىء بها الفينيقيون ، خاصة جلود الماشية والعاج والابنوس وسروج الخيول (٣٢) .

وأغلب الظن أن قبائل البربر - أسبق الفصائل العربية التى هاجرت الى شمال أفريقيا وقبل الفينيقيين بكثير - كانت همزة الوصل بين القرطاجيين والافريقيين السود . فقد كانت بعض قبائل البربر قد هاجرت من شمال أفريقيا الى أفريقيا جنوب الصحراء وتاجروا مع القبائل الافريقية من الزنوج ، فلقد أدرك البربر مدى حاجة الزنوج الافارقة الى ملح الطعام باعتباره مادة هامة فى حفظ الطعام وتخزينها ، ولهذا تولى البربر اقامة الملاحات فى شمال الصحراء الوسطى ، وأصبح الملح سلعة أساسية يبادلونها

بالذهب والرقيق ، الذين كان البربر يستخدمونهم فى استخراج المزيد من الملح ، ولقد كان الاعتماد على دواب القوافل التى جاء بها البربر الى جنوب الصحراء سببا فى تعليم الزنوج المشتغلين بالزراعة فى السودان الغربى فن المعاملات التجارية ، بل وفى تطوير مجتمعاتهم الى نوع من التنظيم السياسى ، وكانت نقطة تلاقى البربر والزنوج هى نهر النيجر فى الطرف الجنوبى من الصحراء ، ولقد أثبت علماء الآثار وجود مقار للتجار البربر فى قرى غانا . وفى حين سيطر المزارعون الافارقة على مفارق الطرق التجارية ، أدار البربر مراحل اعداد الملح ، وكانوا يطلقون على الطريقة التى يتم بها تبادل الذهب بالملح اسم التجارة الصامتة ، حيث كان رجال القبائل الافريقية المشتغلون باستخراج الذهب من المناجم ، يتركون خام الذهب عند حافة نهر النيجر ثم يعودون ادراجهم ، عندئذ يكون التجار البربر قد كدسوا أكوام الملح بجانب الذهب ، ثم يأتى الافارقة فيأخذون الملح ويتركون الذهب اذا راءوا أن الصفقة عادلة ، أما اذا تراءى لهم أن كمية الملح المقدمة من التجار البربر لا تساوى ما قدموه من ذهب ، فأنهم يتركون الملح ، وتستمر المحاولات حتى يرضى الطرفان بالصفقة (٣٣) . ولقد ذكر بعض الرحالة من تجار العرب فى القرن العاشر الميلادى أنهم سمعوا من بعض الرواة السودانيين أن « بعض البيض كانوا يحكمون وادى النيجر فى الفترة ما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين ، ثم أتى بعد ذلك حاكم من قبيلة الماندى أو المانجدونجو يدعى سونينكى مؤسس اسرة حاكمة زنجية » مما يؤكد توغل التجار العرب والبربر الى أفريقيا السوداء قبل الاسلام وبعده (٣٤) . وقبل أن ينشر البربر المسلمون الدين الاسلامى بين القبائل الافريقية جنوب الصحراء بكثير ، قام البربر والقرطاجيون بأدخال المعتقدات الدينية القرطاجية الى مملكة غانا الزنجية (٣٥) .

عاد النشاط المصرى فى أفريقيا مرة أخرى بعد توقف دام أكثر من قرنين تقريبا منذ سقوط الاسرة الصاوية وحتى قيام الاسرة البطلمية ،

فلقد شهد مطلع حكم البطالمة حركة كشوفات جغرافية وعلمية مكثفة لسواحل البحر الاحمر الجنوبية ، يواكبها حركة كشوفات برية لاكتشاف الطرق المؤدية الى أعماق أفريقيا عن طريق تتبع نهري عطبرة والنيل الازرق الى هضبة الحبشة (٣٦) . فقد كان البطالمة حريصين على اقامة دولة قوية وعصرية تتربع على عرش الممالك الهلينية ، ومن ثم كانوا في حاجة ماسة الى الحصول على المواد الاستراتيجية مثل الحديد والنحاس والمعادن الثمينة مثل الفضة والذهب ، الى جانب الاخشاب وسن العاج ، وحرصوا على أن يكون الميزان التجارى لصالحهم فكانوا يصدرون الى مناطق أفريقيا السوداء الحاصلات الزراعية والمصنوعات المصرية ، ومن ثم لعبت أفريقيا دورا هاما في السياسة الخارجية للبطالمة (٣٧) . فقد كانت أفريقيا منشأ ومصدر القبيلة التي لعبت دورا هاما في تسليح الجيش المصرى وفى التكتيك الحربى لجيوش العصر الهلينيستى ، وكان حرص البطالمة فى الحصول على الافيال الافريقية هو رد على استعدادات منافسيهم السليوقيين فى الشام والعراق الذين كانوا يجدون فى الهند معينا لا ينضب من الافيال الجيدة ، وازاء هذا التحدى لم يجد البطالمة غير الاعتماد على القبيلة الافريقية وترويضها ، برغم أن كفاءتها القتالية لا ترقى الى مستوى كفاءة الافيال الاسيوية . ولقد كان تتبع روافد النيل هو أيسر الطرق وأسهلها للوصول الى غابات أفريقيا ، وتدريب القبائل الافريقية على طرق صيدها ، ومكافأتهم مكافآت مجزية نظير ذلك العمل ، ومن ثم عاد ذلك بالرخاء على القبائل الافريقية ، الى جانب ذلك فإن البطالمة آمنوا طرق مواصلاتهم البرية مع النوبة ، وبعثوا بعلماء الجغرافيا وخبراء بناء الموانى لاختيار عدة مواقع لانشاء مراكز عسكرية تتجمع فيها القبيلة قبل شحنها فى ناقلات خاصة الى مراكز التدريب فى منف . وكان بطليموس الثانى بالذات من أنشط ملوك هذه الاسرة فى ذلك الصدد ، فقد بدأ حكمة بحملة عسكرية على كوش على طريقة ملوك القراعنة العظام الذين حاول التشبه بهم ، اعقب هذه الحملة ارسال سفارة للتفاوض على شروط صلح

يضمن مصالحهم هناك ، وكان ذلك بقيادة قائد اسطوله تيموستتيس Timotheus ، وقد أمن ذلك للبطالة ساحل الصومال (٣٨) . ولقد نجحت هذه السياسة في فتح الطرق الى مناطق صيد الافيال ، ولتوكيد وجودهم أقام البطالة عددا من النقاط العسكرية والمراكز التجارية المحصنة على طول ساحل البحر الاحمر الافريقي في المنطقة الواقعة الى الشمال من باب المندب ، ومن أهم هذه النقاط جزيرة ستراتون (Straton) وحصن ديمتريوس (Demetrius) ومذبح كانون (Canon) ونقطة حراسة كورهاجوس (Corrhagos) وميناء انتيفيلوس (Antiphelos) ومدخل يوميديس (Eumedes) ، ويلاحظ أن أسماء هذه المواقع القديمة كانت مشتقة من أسماء القادة العسكريين والرواد المكتشفين لها ، وعلى ساحل التروجلوديت (ساحل الصومال وبربرة) ، أسس أحد قواد بطليموس الثانى ميناءين آخرين ، هما ميناء « بطوليمائيس Ptolemais لصيد الافيال (Ptolemais Epitheros) بالقرب من ميناء سواكن ، والذي أصبح فيما بعد من أشهر موانئ أفريقيا ، وميناء بطليموس ثيرون Theron بالإضافة الى عدد من الحصون ونقاط الدفاع مثل حصن سوتيراس ليمن (Soterias limen) (ميناء الخلاص) ، وحصن فيلوتيرا (Philotera) (٣٩) ، فلقد كان بطليموس الثانى من أشد البطالة حرصا على تعبئة الجيش وتسلية بفيالق الافيال - مدرعات العصور القديمة - التى تبث الرعب بين جنود العدو ، ومن أجل ذلك أحكم قبضته على ساحل شرق أفريقيا ، ومنطقة الظهير المواجه لها حيث الغابات الاستوائية ، وكانت هذه الافيال تنقل فى سفن خاصة كبيرة وقوية تمخر البحر الاحمر شمالا حتى القاعدة العسكرية المصرية فى برنيكى (Berenike) وهى مرسى تقع الى الشرق من مدينة أسوان الحالية (مكانها الآن مدينة « الهراس » ) (٤٠) ، ثم تساق الافيال فى قوافل مسلحة عبر طرق صحراء مصر الشرقية الى الميناء النبلى عند قفط Coptos (٤١) . حيث تنقلها سفن نيلية خاصة الى معسكرات التدريب فى صحراء منف .

( م ٢ - المصريون والعرب وعلاقاتهم بأفريقيا )

ومن الواضح أن بطليموس الثانى لم يكن يهدف فى سياسته الافريقية الى تحقيق التفوق العسكرى على اعدائه فى الشرق الادنى فحسب ، بل كان يهدف أيضا الى تحقيق التفوق الاقتصادى على كافة ممالك العصر الهلينستى فى الشرق والغرب ، فقد نجح بفضل هذه السياسة الى احتكار سوق العاج الدولية ، التى أصبح يتحكم فى أسعارها • حتى الاقتصاد سخره بطليموس الثانى لتوجيه ضربات اقتصادية لاعدائه ، فمثلا قام بأغراق السوق الدولية بفيض من سن الفيل الافريقى فيما بين أعوام ٢٦٤ - ٢٥٠ ق.م بما أدى الى انخفاض سعره فى أسواق ديلوس ، وذلك رغبة منه فى إلحاق الكساد الاقتصادى بمنافسيه السليوقيين ، الذين كانوا يحتكرون هذه السلعة عن طريق جلبها من الهند ، وكانت تدر عليهم دخلا هائلا يساعدهم فى نفقات الحرب (٤٢) ، ويتضح مدى الاستغلال المكثف للعاج الافريقى وثروات افريقيا المختلفة فى عهد ذلك الملك فيما جاء فى وصف الكاتب النقراطيسى أثيناىوس Athenaeus لاحتفالات أعياد الديونيسيا Dionysia التى أقامها فى الاسكندرية ، فذكر هذا الكاتب أنه ظهر فى موكب العرض أربعة وعشرون فيلا ، وأربعة عربات يجر كل منها زوج من النعام ، كما ظهر فى هذا العرض أيضا عدد من الافارقة الكوشيين يحملون ستمائة قطعة من سن الفيل وخشب الابنوس ، بالإضافة الى تشكيلة كبيرة من مختلف أنواع وفصائل الطيور والحيوانات الافريقية الغريبة ، وذلك بهدف اعلام الشعب بمدى نجاح سياسته فى افريقيا ، وقد تغنى شاعر العصر الهلينستى الكبير بمجد بطليموس الثانى فذكر أن ممتلكاته شملت أجزاء من بلاد اليونان وآسيا الصغرى وافريقيا وبلاد العرب (٤٣) ، ونلاحظ أن كلمة افريقيا جاءت مقرونة مع كلمة بلاد العرب ، وبالتالي أوجد بطليموس ساحة للتعارف والتعاون بين الافارقة والعرب تحت التاج المصرى •

واذا كانت سياسة بطليموس الثانى فيلادلفوس تجاه افريقيا هى تسخير مصادرها لخدمة جهاز الحرب ، فإن سياسة خلفه بطليموس الثالث



تتسم بالاستغلال الاقتصادي البحت ، خاصة في النصف الاخير من حكمه ،  
الذى يتسم بالسلام والتعمير ، وتتلخص سياسته في استغلال مصادر  
غابات أفريقيا والمواد الخام في مناجمها ، كما تتمثل في الضغط المعنوى  
والنفسى على زعماء القبائل الافريقية وحكامها لفتح مناطقهم أمام التجار  
وصائدى الافيال المصريين ، وتسهيل اقامة مهمة العلماء ورسامى الخرائط  
والمستكشفين والرحالة ، وتأمين حمايتهم « ، في مقابل السماح للمهندسين  
والعمال والحرفيين المتخصصين في بناء المعابد المصرية وزخرفتها بالعمل في  
النوبة الكبرى من أجل تعميرها بالمعابد المصرية . ونتيجة لسياسته  
الافريقية الناجحة ، كثر في عهده منتجات أفريقيا في الاسكندرية (٤٤) ،  
وأصبحت الطرق البرية والبحرية بين مصر وأفريقيا مؤمنة للمسافرين ،  
ولقد ارسل هذا البطليموس مستكشفا اسمه « سيمياس » (Simmias)  
تلاه آخر يدعى « ليخاس » Lichas وذلك لاكتشاف ما تبقى من مجاهل  
الساحل الصومالى ، ورصد مناطق جديدة لصيد الافيال وجمع العاج (٤٥) ،  
ويؤيد ذلك كثرة النقوش الاغريقية ( لغة مصر الرسمية في عصر البطالمة )  
التي كتبها صائدو الافيال والمستكشفون في هذه المناطق ، وظفرا للتوسع  
في النشاط الافريقى رأى بطليموس الثالث أن يضيف ميناء مصرى جديدا  
الى موانئ مصر على ساحل الصومال ، وهو ميناء برنيكى الذهبى  
(Berenike) والذى يقترح البعض أنه ميناء عدول (Aduis) المواجه  
لجزيرة العرب ، والذى يقع بالقرب ميناء مصوع الحالى . وقد  
أصبح ميناء عدول منذ ذلك الوقت وحتى هجرة المسلمين الاولى الى  
الجبشة (٤٦) ، المنفذ الاول للجبشة مع العالم الخارجى ، ومركز تجميع  
العاج (٤٧) ، وربما أقام بطليموس الثالث أيضا كولوى Koloo ( ميناء  
كوهايتو الحالى في الجبشة ) والذى تدل ملامح المكتشفات الاثرية فيه  
على أنه منشأة بطلمية . ولقد أدت دقة اختيار هذه المواقع بطريقة  
علمية الى ازهارها وتحولها الى حواضر عامرة بالسكان ، ومنارات حضارية  
تشع الحضارة الى القارة السوداء . ولقد وصل العمران المصرى في عصر

بطليموس الثالث حتى رأس غواردافوى فى القرن الافريقى عند أقصى جنوب البحر الاحمر • ومن بين الحواضر العامرة التى أسسها بطليموس الثالث عددا من المدن حملت ثلاث منها اسم زوجته برنيكى ، ولقد تغلب بطليموس الثالث على مقاومة قبائل « البجة » وحلفائها للتوسع المصرى ، وكذلك على صعوبة الملاحة النهرية باتباع طريق البحر الاحمر لى يصل الى الاصقاع البعيدة فى جنوب شرق الحبشة وبلاد الصومال (٤٨) • وفى ضوء ذلك لاحظ الاثريون تزايد التأثيرات المصرية الملكية فى البلاط المروى ، وأصبح ملوك النوبة يقلدون ملوك مصر فى حمل الالقاب البطلمية (٤٩) تماما مثلما فعل ملوك مدينة دادان العربية فى الحجاز حيث حمل أربعة أو خمسة من هؤلاء الملوك اللحيانيين لقب طولماى ( الصيغة المعربة للفظ بطليموس ) (٥٠) ، ووصلت هذه العلاقات بين ملكى مصر والنوبة الى ذروتها فى عصر بطليموس الرابع ، حين تعاون الملكان معا فى بناء معبدى فيلة ودكة ، والى بطليموس الرابع يعزى أيضا بناء حاضرة جديدة هى مدينة ارسينوى Arsinoe القريبة من باب المنذب (٥١) •

ولقد اتخذت سياسة مصر الافريقية أبعادا جديدة عقب هزيمتها على أيدي السليوقيين ، وضياح ممتلكاتها فى جنوب الشام عام ١٩٨ ق م فى عهد البطليموس الخامس ، فقد كانت هذه الهزيمة نقطة تحول فى سياسة البطالمة الذين كانوا يولون من قبل وجوههم شمالا لبناء الامبراطورية فى الشرق الادنى وآسيا الصغرى وحوض البحر المتوسط وتسخير موارد أفريقيا لتحقيق ذلك الهدف •

أما بعد هذه الهزيمة فقد تحولت مصر الى أفريقيا ، وكان الدرس الذى تعلمه البطليموس الخامس أنه لا جدوى للايال الافريقية فى الحرب ، فقد ثبت فشلها فى مواجهة القبلة الاسيوية ، كما أن الانكماش فى الممتلكات المصرية فى جنوب الشام قابلة لتوسع فى أفريقيا لتعويض الارض المفقودة ، ومن ثم كثف البطالمة منذ عصر البطليموس الخامس نشاطهم فى ارسال البعثات الاستكشافية والعلمية لاكتشاف المزيد من

المجاهل الافريقية ، ولقد شهد عهد بطليموس السادس بناء عدد جديد من المدن في أفريقيا وسواحلها ، ولأول مرة يتخذ التوسع البطلمي الصفة الاستيطانية الدائمة ، بعد أن كانت مناطق اقامة وعبور مؤقت تنتهى بانتهاء الغرض المطلوب ، فقد تحولت مراكز صيد الافيال الى قلاع عسكرية دائمة لحماية المستوطنين والممتلكات وتأمين الطرق التجارية ، وقد جاء في نقش يرجع الى عصر بطليموس السادس أن جميع بلاد كوش بما فيها نباتا و مروى كانت تدفع الجزية للتاج المصرى وأهمها العاج والذهب .

غير أن السفينة الملكية البطلمية بدأت تواجه عواصف وأمواج وأنواء مقلقة في البحر المتوسط منذ القرن الاخير قبل الميلاد ، عندما بدأ النفوذ الرومانى يزحف على مصر تدريجيا ، سالباً اياها ما تبقى لها من ممتلكات خارج أراضيها ، فقد سلبها قورينى ثم قبرص ، ومن ثم جاء تعويض هذه الخسائر بزيادة النشاط في أفريقيا ، وللحصول على أموال تعوض الاستنزاف الاقتصادى الرومانى الدائم لمصر ، وربما من العدل أن نقول أن توسع مصر في أفريقيا في عهد البطلمة المتأخرين هو توسع هروبى الى الجنوب من السيطرة الرومانية القادمة من الشمال ، ولم يشمل التوسع أفريقيا فقط ، بل أيضا جزيرة سوقطرة المتاخمة للساحل الجنوبى الغربى للجزيرة العربية ، فقد ارسل بطليموس الحادى عشر ( ٨٠ - ٥١ ق.م ) الى تلك الجزيرة حملة لاستيطانها استيطانا دائما ، وبقي هؤلاء المستوطنون المصريون الى ما بعد الفتح الاسلامى (٥٣) .

وقد واكب هذا النشاط البطلمى المتأخر فى السياسة الافريقية ، تزايد اعداد الافريقين والكوشيين فى مصر منذ عهد بطليموس الخامس ، وزاد تدفقهم على المدن المقدسة ، خاصة مدينة طيبة ، التى كانوا يحجون اليها لزيارة معبد آمون رع ، ذلك الرب المصرى الذى عبده الافريقيون بشغف ، وتشير الادلة الى أن هؤلاء الكوشيين كانوا وراء الحركات القومية المصرية ، التى قامت فى هذه العاصمة المقدسة مطالبة بعودة طيبة الى مجدها ، وتحررها من سيطرة الاسكندرية وحكامها المقدونيين ، ولقد

بذل بطليموس الخامس جهودا مفضية للقضاء على ثورة طيبة الوطنية .  
وفي الاسكندرية تدل الشواهد الاثرية على تزايد أعداد الافريقيين حتى  
أصبحوا يشكلون قطاعا سكانيا وحرفيا عريضا في مجتمع الاسكندرية ،  
فكانوا يعملون في الميناء كحمالين ، وفي البيوت كخدم ، ومربين ، وحملة  
مصاييح لدى الاسر الموسرة ، فيذكر آثيناؤوس أن السمار في مجلس  
الملكة كليوباترا كانوا يعودون الى بيوتهم ليلا يرافقهم حملة المصاييح  
النوبيون يضيئون لهم الطريق (٥٣) ، كما عمل الافريقيون كمصارعين  
ومهرجين ولاعبى أكروبات في السيرك ، كما عملوا كمغنيين وراقصين في  
المسارح الهزلية والبهلوانية ، ومن بين فئات الافارقة الذين اجتذبتهم المدن  
المصرية وخاصة الاسكندرية طلاب العلم والمعرفة ووصل بعضهم الى  
مناصب رفيعة ووضعت لهم تماثيل من البرونز والبالزت \* ومن تماثيل  
متحف الاسكندرية الخاصة بالافريقيين يؤكد برتشيا Breccia مدى  
تزايد العنصر الافريقى في الاسكندرية في العصور البطلمية المتأخرة ،  
وعن طريق الاسكندرية أنتشر العنصر الافريقى في بلدان البحر المتوسط ،  
ويلاحظ أن هذا الانتشار يتزامن مع انتشار عبادة ايزيس في بلدان  
البحر المتوسط ، حيث كانوا يعملون كهنة في معابدها باعتبارها ربة  
أفريقية سوداء ، بل أصبحت صورة الافريقى وملامحه وشعره الاجعد  
موضوعا مستحبا لدى فناني العصر الهلينيستى (٥٤) ، وجدير بالملاحظة  
أيضا أن العنصر العربى انتشر أيضا في مناطق النفوذ المصرى في حوض  
البحر المتوسط حيث عثر على نقوش عربية جنوبية مقدمة لآلهة عربية  
قديمة في جزيرة ديلوس والتي كان نفوذ البطالمة فيها قويا (٥٥) \*

وكما لعبت مصر دورا ثقافيا بين الافارقة والعرب من جانب ، وبين  
أوروبا من جانب آخر ، فقد لعبت أيضا دور الوسيط التجارى ، فقد  
أفادت الموانئ التى أقامها البطالمة على سواحل افريقيا وفي جزيرة سوقطرة  
في تنشيط التجارة العالمية ، فقد وجدت قصاصة من البردى تشير الى أول  
اتحاد تجارى عالمى فى العالم القديم بين بلاد البهار وبلاد الصومال وترجع  
الى النصف الاول من القرن الثانى قبل الميلاد (٥٦) \*

وكما تعرضت سياسة مصر الافريقية لنكسة بعد سقوط الاسرة الصاوية ، تعرضت لنكسة بعد سقوط الحكم البطلمي على أيدي الاحتلال الروماني ، بل أن الرومان على أثر فتحهم لمصر حاولوا غزو بلاد العرب السعيدة ، ومن قبل حاولوا التوسع في أفريقيا واشتبكوا في حرب ضروس مع ملوك النوبة (٥٧) ، واكتفى الرومان بفرض نفوذهم السياسى والاقتصادى على افريقيا وبلاد العرب في وقت واحد ، ولم يفكر الرومان بعد ذلك بالتضحية في فتوحات صعبة وارسال جنودهم الى بلاد غربية المناخ والتضاريس ، غير ان الرومان شغفوا حبا باستكشاف منابع النيل ، ففى عهد نيرون بعثوا ببعض المستكشفين عام ٦٦م لاكتشاف منابع النيل ووصل هؤلاء الى مستنقعات وأحراش النيل الابيض جنوب الخرطوم الحالية ، غير أن هذه الاحراش والمستنقعات أعاقت أى رحلة استكشاف أبعد منها ، وبقي طريق ساحل البحر الاحمر أيسر الطرق الى قلب افريقيا حيث تسلك المستكشفون والتجار ، وبذلك عرف الجغرافيون المزيد عن جبال القمر ( وربما جبال كلمنجارو وروينزورى Rwenzori ) وعن بحيرات النيل ( فكتوريا وألبرت نيانزا ) في وسط أفريقيا الاستوائية (٥٨) .

ففى أواسط القرن الثانى الميلادى تحرى بطليموس الجغرافى السكندرى نهر النيل ورسم خريطة له ، حيث وصف النيل حتى مرمى ( بين الدامر وشندى ) ، كما وصف نهر عطبرة ، والنيلين الازرق والابيض ، وتحدث عن منابع النيل ، وذكر أن هناك بحيرتين عظيمتين يخرج من كل منهما نهر ، ويتحد هذان النهران عند خط عرضى ٢ شمالا ، كما أوضح بطليموس الجغرافى الفرق بين البحيرات الاستوائية التى ينبع منها النيل الابيض وبحيرة كلوى Koloê ( تانا ) والتى ينبع منها النيل الازرق ، كما اشار الى جبال شاهقة في جنوب منابع النيل تغطيها الثلوج ، والتى يعتقد البعض أنها جبال كينيا وكليما نجارو، الواقعة جنوبى وشرقى بحيرة فكتوريا . وسواء قام بطليموس الجغرافى بزيارة الى منابع النيل ، أم استقى معلوماته من مؤلف آخر ضاعت كتاباته ، التى اعتمد فيها على

ما سمعه من التجار السكندريين ، الذين ذهبوا الى ساحل أفريقيا الشرقى  
فان معلومات بطليموس وخرائطه ، ظلت هى المرجع الاكبر لدراسة أفريقيا  
وبقيت كذلك حتى عصر النهضة والكشوف الجغرافية الاوربية الحديثة .

وبالرغم من أن الاحتلال الرومانى فى مصر سلب مصر حريتها السياسية  
والعسكرية ، اذ لم تعد العاصمة فى طيبة ، أو سايس ( صالحجر ) أو  
الاسكندرية ، بل أصبحت العاصمة فى روما ، وتحولت الاسكندرية  
— عاصمة الامبراطورية البطلمية ومقر قصر البطليموس — الى احدى  
المدن الاقليمية التى تعج بها الامبراطورية الرومانية ، غير أن العلاقات على  
مستوى السكان العاديين بين مصر وأفريقيا وبلاد العرب لم تتوقف ، فقد  
حقق السلام الرومانى مظلة أمن لجميع شعوب الامبراطورية ورعاياها ،  
وضمن لهم حرية الحركة والتجارة ، كما أن هجرة المصريين فى اوقات  
السخط والضييق والاضطهاد الى أفريقيا لم تتوقف ، اذ يتضح من دراسة  
المنشآت المعمارية فى النوبة فى العصر الرومانى أن العلاقات المصرية  
الاfrقية الحضارية استمرت نشطة فى مجال حركة احياء التراث المصرى  
الفرعونى ، فقد كان الحرفيون المصريون ينتقلون بحرية بين مصر والجنوب  
الاfrقى دون تدخل أو اعتراض من السلطات الرومانية ، ومن ثمار  
هذه العلاقات الحضارية مجموعة الاهرامات الملكية فى البرقل بالنوبة  
والتي ترجع الى مطلع القرن الاول الميلادى (٩٠) ، كما حاول الرومان  
ارضاء الجاليات الاثيوبية فى مصر ببناء المعابد لالهتهم ، فقد شيد الامبراطور  
أغسطس معبد كلابشة للرب النوبى مندوليس ، كما رمم معابد دبود  
ودندرة ودكة فى النوبة من أجلهم أيضا .

وكما كانت مصر هى المنجم الروحى لافريقيا فى عصور الوثنية ،  
أصبحت كذلك أيضا فى العصور المسيحية ، فعندما تأسست المدرسة اللاهوتية  
فى القرن الاول الميلادى فى الاسكندرية أخذت هذه المدرسة ترسل  
البعثات التبشيرية الى مختلف الاصقاع الافريقية ، وتحولت طيبة من

كعبة لآمون الى المركز الاول لنشر المسيحية في أفريقيا في النوبة السفلى حيث أقيم عدد من الاديرة ازداد عددها في القرن الثالث الميلادي ، وعندما عانى نصارى مصر من الاضطهاد الوثني الروماني ، هربوا الى النوبة العليا ، كما كانت الواحة الخارجة من أهم المراكز المسيحية المبكرة ، فقد أتاح موقعها الجغرافي للمبشرين المصريين فرصة للاتصال بالقبائل الافريقية جنوب الصحراء ، وليس من المستبعد أن يكون التجار المسافرون على درب الاربعين الذي يمر بواحة الخارجة ، قد مهدوا لنصارى المصريين طريق النجاة الى الحبشة (١٠) ، ومن ثم كان لمصر الفضل في أن تكون أول دولة ادخلت المسيحية الى الافريقيين ، اذ تذكر المصادر المسيحية أن القديس « أنى » اسقف الاسكندرية قد عمد بعض الاثيوبيين ورسمهم كهنة ، كما قام المبشر السكندري واسمه فرمنتئوس Fermentius بنشر المسيحية في الحبشة حوالى عام ٣٣٠ م وعينة الاحباش العرب مطرانا على الحبشة ولقبوه « أبا سلامة » - كما سرى فيما بعد - وخلاصة القول أن مصر كانت المنجم الروحي لافريقيا سواء في عصور الوثنية أو المسيحية أو الاسلام .

لعبت منطقة القرن الافريقى دورا كبيرا في التقاء المصريين والعرب بالافارقة ، فكما رأينا أن المصريين سعوا الى هذه المنطقة منذ عصور الدولة القديمة كما سعوا فيما بعد الى سواحل الجزيرة العربية ، واجتمع العنصر العربى والعنصر الافريقى تحت تاج البطلمة ، ومهد البطلمة شرق أفريقيا حضاريا وعمرانيا لاستقبال المهاجرين ، والذين كان على رأسهم عرب جنوب الجزيرة ، غير انه من الحق أن نقول أن عرب الجزيرة عرفوا طريقهم الى شرق أفريقيا منذ الالف الاول ق م ، اذ لم يكن البحر الاحمر عائقا لاتصال شعوب سواحل جنوب الجزيرة بسواحل شرق أفريقيا ، اذ لا يزيد اتساع هذا البحر على المائة والعشرين ميلا عند السودان ، ويصبح ضيقا جدا عند باب المندب ، فضلا عن وجود جزيرة سوقطرة التى لعبت دور الجسر بين الجزيرة العربية وسواحل

أفريقيا ، مما سهل على السلالات العربية ان تعبر البحر عبر ارتريا الى  
القارة الافريقية طلبا للرزق والتجارة (١١) ، وكانت أقدم القبائل العربية  
هجرة الى أفريقيا هي قبيلة « حبشت » ، والتي منها أخذت الحبشة  
اسمها العربى واسمها الاوروبى Abyssinia ، ويرجح أن الهجرة  
الاولى لهذه القبيلة تمت حوالى عام ١٠٠٠ ق.م على عهد الدولة المعينية  
والتي تشهد كل الظواهر الاثرية أنها كانت على علاقة ممتازة بمصر منذ  
أيام الفراعنة (١٢) وان كانت هذه العلاقة وصلت الى ذروتها فى العصر  
البتلمى (١٣) .

ويلاحظ علماء التاريخ القديم المقارن أنه فى الوقت الذى بدأت فيه  
الممالك العربية الجنوبية تنشط سياسيا وتزدهر تجاريا ، كانت أيام  
الامبراطورية المصرية الفرعونية قد ولت ، وانهارت الهيمنة البحرية المصرية  
على البحر الاحمر ، مما أطلق العنان لعرب جنوب الجزيرة لجنى الثمار  
التي زرعتها المصريون فى شرق أفريقيا ، والتوسع فيها ، وملئ الفراغ  
الناجم من غياب القوة المصرية فى البحر الاحمر - كما فعل الفينيقيون  
فى البحر المتوسط ، ولقد ورث عرب الجزيرة رسالة مصر فى تطوير شرق  
أفريقيا ثقافة وعنصرا ، وأقاموا نظاما تجاريا ، وتنظيما تعامليا ، لا يقل فى  
كفاءته عن النظم التى أقامها المستوطنون الفينيقيون فى شمال أفريقيا ،  
بل وامتد التأثير الحضارى العربى الى وسط أفريقيا ، فقد نجح السبئيون  
فى تكوين أسطول بحرى ، وتفوقوا فى فن الملاحة ، وازدهرت موانئهم  
مثل عدن ، والموزاء ( مخا ) ، وموشا ( خور ريرى ) ، وقنا ( كانا ) ،  
كما عرف العرب السبئيون مواقيت واتجاهات هبوب الرياح الموسمية ،  
واستفادوا من ذلك فى الابحار بسفنهم على طول سواحل شرق أفريقيا ،  
وجزر البحر الاحمر ، ونجحوا فى الدوران حول القرن الافريقى الى  
ما بعد رأس عوارداقوى ، ووصلوا الى مكان زنبار ودار السلام  
ورأس دلجادو وموزمبيق ، (١٤) غير أنه كان من الطبيعى لعرب الجنوب  
أن يعطوا اهتمامهم الاول لمنطقة الساحل الافريقى وظهيره المواجه لبلادهم ،



وكان من عوامل تفوق العرب على المصريين في الانتشار في شرق أفريقيا ، تشابه الظروف المناخية والبيئية بين سواحل أفريقيا الشرقية وسواحل الجزيرة العربية المواجهة لها . وهى ميزة جعلت التوسع العربى في أفريقيا أكثر نجاحا واكثر تفعالا وثباتا من التوسع المصرى . فلقد اوصل العرب الجنوبيون حضارتهم الى القبائل الافريقية ، خاصة فن المعمار ، وفن الكتابة ، واستثناس الجمل الذى جلبوه معهم الى أفريقيا ، ويشهد على التقدم الحضارى الذى قام به العرب في شرق أفريقيا في العصور القديمة عشرات النقوش المكتوبة باللغة العربية الجنوبية وبالخط المسند ، والتي عثر عليها في هذه المناطق النائية من أفريقيا والتي ترجع الى الالف الاول قبل الميلاد ، والتي تتحدث بالتفصيل عن نظم الري وقوانين الملكية والنشاط المعمارى ، وتطور الزراعة ، وبناء نظام اقتصادى زراعى متقدم ، وادخال النظم الفنية والهندسية ، وازدهار فى الفكر والثقافة ، مما جعل شرق أفريقيا تبدو امتدادا حضاريا لجنوب الجزيرة العربية (١٥) . ويكفى أن العرب القدماء هم الذين ادخلوا الجمل الى الصحارى الافريقية ، والذى هو اليوم من أهم مصادر الثروة الحيوانية ومن أهم وسائل النقل لدى سكان السودان، والصومال، والحبشة ، فاهيك عن مساهمة العرب القدماء فى تكوين لغات قومية فى أفريقيا ، والتي يأتى فى مقدمتها لغة الجعيز ، وكذلك فى ادخال أبجدية كتابية لاتزال بقاياها قائمة حتى اليوم فى الابجدية الامهرية الحبشية ، بل أن عرب الحبشة ابتكروا طريقة لكتابة الحروف الموسيقية وهو أمر لم يتوصل اليه شعب آخر حتى فى مصر القديمة ذاتها (١٦) . وعلى النقيض من سلوك الاوربيين فى شرق أفريقيا فى العصر الحديث ، لم يتعالى العرب بعنصرهم عن الزواج ، بل تزاوجوا معهم على نطاق واسع ، فلقد أحب العرب القدماء الزواج من الافريقيات ، ونشأ عنصر مهجن يجمع بين الدماء العربية والافريقية انتشر فى المنطقة ما بين مقديشيو ومباسا ، وكانت مقديشيو تسمى « حمر » نسبة الى العرب الحمريين الذين كانوا يعيشون فيها منذ زمن بعيد (١٧) .

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، عادت مصر الى النهوض من جديد تحت قيادة البطالمة ، واستعادت سيطرتها على البحر الاحمر ، وظهر الاسطول المصرى بكامل قوته أمام السواحل العربية والافريقية ، وتراجعت القوة البحرية السبئية ، وانكمش اقتصاد دولة سبأ مما تسبب فى سقوطها نتيجة لانتشار القلاقل وحركات التمرد التى أثارها الهمدانيون وشيوخ القبائل الطامعة فى العرش ، مما أدى الى فقدان سيطرة العرب الجنوبيين على تجارة البحر الاحمر وسواحل أفريقيا ، ولا نستبعد أن يكون بطلامة مصر وراء حركات التمرد والقلاقل داخل دولة سبأ لازاحتهم عن طريقهم فى السيطرة على جنوب البحر الاحمر ، كما ان الصداقة التى نشأت بعد ذلك بين البطالمة وملوك حمير من ناحية ، وبين البطالمة والعرب الثموديين فى الحجاز والذين كانت عاصمتهم العلا ( ديدان ) من ناحية أخرى يدعم هذا التشكك ، وعلى العموم انحسر المد العربى من الناحية السياسية فى أفريقيا نتيجة لانتقال القوة البحرية والتجارية الى أيدي البطالمة ، وقد شرحنا نشاط البطالمة فى شرق أفريقيا من قبل ، غير أن هذا الانحسار العربى لم يوقف تدفق المهاجرين العرب سواء من الساخطين على الحكم الحميرى الجديد الذى جاء نتيجة للتغير الذى طرأ على القوة فى جنوب البحر الاحمر ، فمن المحتمل أن اتباع الاسرة الملكية المنهارة وانصارها هاجروا الى أفريقيا خوفا من اضطهاد الحكم الجديد ، كما أن البطالمة لم يغلّقوا الباب أمام التجار العرب فى أفريقيا ، ماداموا لا يشكلون خطرا على الاهداف الامنية البطلمية ، ولا يتعاونون مع اعدائهم السليوقيين .

وبتدهور القوة البطلمية فى القرن السابق على الميلاد بسبب فرض الرومان حمايتهم على مصر ، عاد النشاط العربى الى أفريقيا متدفقا ، ثم زاد النشاط العربى فى افريقيا وجنوب البحر الاحمر بعد التفاهم السياسى والاقتصادى الذى تم بين ملوك حمير والامبراطور أغسطس على أثر فشل الحملة العسكرية الرومانية على جنوب الجزيرة العربية ،

بالإضافة الى ذلك فإن غياب الاسطول البطلمي عن هذه المنطقة أطلق  
الحبل على الغارب للنشاط العربى فى أفريقيا ، ومن المعروف أن تدمير  
الاسطول البطلمي تم على أيدى الانباط حلفاء العرب الجنوبيين وشركائهم  
فى التجارة ، عندما كان أسطول كليوباترا متجمعا فى مياه السويس ، متأهبا  
للهرب الى الجنوب (٦٨) ، وربما قام الانباط بهذا العمل ليس خدمة  
للرومان بقدر ما كان خدمة لحلفائهم عرب الجنوب ، وفى ظل السلام  
الرومانى الذى أمن البحر الاحمر من القراصنة ، وفى حمى الصداقة  
مع الرومان ، أطلق الرومان للعرب الجنوبيين العنان للتوسع فى أفريقيا  
فى صمت ، بقدر ما أطلقوا العنان لحلفائهم الانباط لتوسيع مملكتهم  
على حساب جيرانهم الثموديين أصدقاء وحلفاء البطلمة ، الذين كانت  
عاصمتهم دادان - على عهد البطلمة - مركزا تتجمع فيه التجارة الافريقية فى  
الشمال (٦٩) .

ولقد كان من نتائج حملة الرومان على الجزيرة العربية ، انتقال التوابل  
والعطور وبذخ الشرق الى الامبراطورية الرومانية حتى أن ذوق الرومان  
قد تغير فى فن الطهى ، وأصبح الرومانى لا يستسيغ مذاق الطعام دون  
هذه التوابل العربية (٧٠) ، وازيادة الطلب على هذه التوابل نشطت  
التجارة العربية لتلبية حاجة الرومان منها ، ومن ثم زادت العلاقة التجارية  
بين العرب وشرق أفريقيا خاصة منذ النصف الثانى من القرن الاول  
الميلادى ، فقد كان العرب يبحثون عن العاج ومنتجات أفريقيا الاستوائية  
والرقيق ، ووصلوا حتى موزمبيق بحثا عنها ، كما لعب عرب الخليج من  
العمانيين والبحرانيين دورا بارزا فى التجارة مع أفريقيا لا يقل عن دور  
اشقائهم اليمنيين ، ويعلل البعض ذلك الاندفاع العربى نحو شرق أفريقيا  
بحثا عن التوابل وغيرها الى حدوث تغير فى المناخ ، أدى الى حدوث  
الجفاف فى جنوب الجزيرة العربية مما أدى الى فشل سكان جنوب  
العربية فى انتاج البخور والعطور التى تحتاج الى مناخ حار (٧١) ورطب ،  
مما دفع السكان العرب الى الهجرة الى شرق أفريقيا بحثا عنها لتلبية

حاجة السوق الدولية . ولقد ازدادت حدة هذا الجفاف في القرن الثالث الميلادي وبلغ ذروته في القرن السادس الميلادي ، وبالتالي زادت موجة هجرات العرب الى أفريقيا التي كانوا يجدون فيها ملاذا منذ قديم الزمان ، ويفرون اليها من ظروف الحياة القاسية التي قضت بها طبيعة بلادهم ، أو بسبب الصراعات السياسية المتلاحقة بين الدويلات العربية الجنوبية والتي نبتت من النزاعات القبلية ، ومن الواضح أن عرب جنوب شرق الجزيرة ( عرب عمان ) بدأوا يديرون ظهورهم للتجارة مع الهند وبلدان الشرق الاقصى ليتحولوا الى التجارة مع أفريقيا ، ويعمل البعض اتجاه عرب الخليج القدماء الى أفريقيا الى التغير الذي حدث في سوق اللؤلؤ الدولية في ذلك الوقت ، فقد كان الرومان هم المشترين الاول للؤلؤ العربي الخليجي ، وبأستحكام الازمة الاقتصادية في الامبراطورية الرومانية منذ عهد نيرون ، بسبب التزيف الدائم للذهب الروماني ، الذي كان يدفع ثمننا لهذه السلع الباهظة ، بدأ الابطارة الرومان منذ عهد نيرون يصدرون قرارات صارمة لتعديل مسار الاقتصاد الروماني ، ففرضوا حظرا على السلع الكمالية مثل الحرير واللؤلؤ ، كما خفضت نسبة الذهب في الدينار الروماني ، فانخفضت قوته الشرائية (٧٣) ، وبالتالي ساد كساد في سوق اللؤلؤ في الخليج العربي ، فضلا عن منافسة لؤلؤ سيلان والهند للؤلؤ العربي ، مما حدا ببحارة الخليج الى التحول من صيد اللؤلؤ الى التجارة في التوابل والبخور أو ما يعرف بتجارة « الكارم » وفي ذلك يقول المسعودي أن أصحاب التجارة في شرق أفريقيا هم من الازد العمانيين وأن تجارتهم مع شرق أفريقيا تدر عليهم ارباحا طائلة (٧٣) .

ويتحدث كتاب الطواف حول البحر الارثري ( أى البحر الاحمر ) - الذى كتب في منتصف القرن الاول الميلادي - بأهتمام عن الموانئ الافريقية وعن باب المندب ، وأماكن الاسواق والمخازن والسلع ، بل ويحدد الاماكن التي تصلح لرسو السفن على الساحل الافريقي (٧٤) ، ويشير الى مناطق الظهير التي تغذى هذه الموانئ بالمنتجات الافريقية ،

أو التي تبتاع من السفن السلع الخارجية ، ومن دراسة احصائية لموانئ هذا الدليل نجد أن الموانئ الافريقية والعربية تفوق موانئ الشرق الاقصى عددا ، ومن الواضح أن مؤلف هذا الدليل مصرى من الاسكندرية وذلك لانه يستخدم الشهور المصرية في حساباته ، فهو يحدد عدد هذه الموانئ بثمان وعشرين ميناء ، تختص أفريقيا وحدها فيما وراء باب المندب بتسعة موانئ ، بينما تختص بلاد العرب الجنوبية بستة موانئ والخليج العربى بمينائين ، وتختص الهند بسبعة موانئ ، والصين بميناء واحد ، وقد خصص المؤلف الفصول من الاول حتى الثامن عشر لشرح ووصف موانئ الساحل المصرى وساحل شرق أفريقيا ، ومن الفصل التاسع عشر حتى السادس والثلاثين خصصه المؤلف لوصف موانئ ساحل الجزيرة العربية الجنوبي وموانئه ، وأسواقه والسلع التي تباع فيه ، أما بدءا من الفصل السابع والثلاثين وحتى السادس والستين فتناول المؤلف فيها موانئ الهند الغربية والموانئ التي تقع في بلدان الشرق الاقصى بأشارات نقلت اليه سماعا ، وبدراسة احصائية للمعلومات التي وردت في كتاب الطواف حول البحر الارثيرى نجد أن موانئ أفريقيا ومصر والجزيرة العربية تحتل ستة وثلاثين فصلا من مجموع فصول الكتاب التي يبلغ عددها ستة وستون فصلا ، ومن الملاحظ أن عدد الموانئ المصرية قد تقلص في هذا العصر الى مينائين رئيسيين هما ميوس هورموس ( رأس أبى شعر القبلى ) وبرنيكى ( خليج أم الكتف ) وهو الميناء الرئيسى للتجارة المصرية مع موانئ الجزيرة العربية ، ونفهم من ذلك أنه في القرن الاول الميلادى نتيجة لسقوط اسرة البطالمة واحتلال الرومان لمصر ، تقلص النشاط الاقتصادى المصرى وانكمش بينما امتد النشاط العربى التجارى ليملا الفراغ المصرى (٧٥) •

وأول الموانئ الافريقية التي وردت في الكتاب هي ميناء بطولومايس ( جزيرة الريح ) والذي كان على أيام البطالمة المركز الرئيسى للحصول على الفيلة الافريقية ، ثم ميناء عدول Adulis والذي كان مركزا

لتجميع غلات الحبشة وهو أيضا كان في الاصل مؤسسة بظلمية ، لكن التجارة العربية غمرته ، فقد كان لميناء عدول أهمية خاصة عند التجار العرب قبل الاسلام ، فقد ترد اسمها في قصائد الشعر العربي الجاهلي (٧٦) . كما أصبح التجار العرب يصفون بعض السفن بأنها «عدولية» أى صنعت في ميناء عدول ، ويتغزلون في نساء عدول ، وجمالهن الذى يجمع بين الدماء العربية والدماء الافريقية (٧٧) ، وكان ميناء عدول - كما قصد به مؤسسة بطليموس الثانى - مركزا لتوزيع السلع المصرية خاصة النسيج والزجاج ، وأصبح على أيام التجارة العربية يصدر مختلف أنواع العاج وقرون الكركدن وجلود الحيوانات والرقيق الحبشى ، ومن أهم الموانئ الافريقية الواقعة بعد الخروج من باب المندب ، ميناء افيلانس ( والمرجح أنها ميناء زيلع ) ، وميناء مالاو ( بريرة ) ، التى كانت تصدر المر والقرفة للرقيق ، والارز ، والدهون الهندية ، وزيت السيرج ، والاقطان ، التى يجلبها اوبون Opone ( رأس هافون ) والتى يذكر المؤلف عنها أنها كانت سوقا للرقيق والارز والدهون الهندية ، وزيت السيرج والاقطان التى يجلبها التجار العرب من الهند والشرق الاقصى ، وكان ميناء اوبون أكبر موانئ افريقيا الواقعة الى الجنوب من رأس غواردافوى ، وآخر ميناء يذكره المؤلف هو ميناء رابتا Rhapta ( لعله كلوة ) وذكر أنه كان يصدر العاج ، والذبل ، وقرون وحيد القرن ، وزيت النخيل ، ويستورد من ميناء موزاء العربى المقابل له الرماح والسيوف والحراش (٧٧) ، كما وصف ميناء غواردافوى بأسم ميناء رأس التوابل Cape of Spices (٧٨) .

أما عن أهم موانئ الجزيرة العربية التى تاجرت مع افريقيا هى ميناء الابللة ( أبو لوجوس الواقعة على الخليج العربى ) (٧٩) وعمان ، وميناء موشا Moscha ( خور ربرى ) وقنا Gana وعدن Adana وسوقطرة ، وميناء اوكيليس Ocelis وميناء مخا ( الموزاء ) ، ثم ميناء لويكى كومى Leuke Kome ( الحوراء بالقرب من ميناء الوجه بالحجاز ) . ومن أهم الصادرات الافريقية الى بلاد العرب كما وردت في

الدليل هي : القرفة أو الدارسين ( ١٤١٢، ١٠ ) والسمن ( ٤١، ١٣ ) ،  
والمر ( ٥٦، ٤٩، ٣٧، ١٣ ) والعاج ( ١٧، ١٦ ) والذبل ( ١٧، ١٦، ١٣ ) وقرون  
الكركدن ( ١٧ ) والرقيق ( ١٣ ، ٤٢ ) \* ونفهم من الكتاب أن أفريقيا كانت  
تنتج بكثرة ، أما استهلاكها للكماليات - باستثناء العطور العربية -  
فقد كان محدودا (٧٩) \*

وهناك فقرة وردت في كتاب الطواف حول البحر الاحمر ، تصف  
العلاقة التجارية بين السواحل الصومالية وساحل الجزيرة العربية  
الجنوبى العربى وتقول هذه الفقرة « وعلى طول هذا الساحل يعيش رجال  
قراصنة ، ذوى قامات ضخمة ، وكان لكل منطقة زعيمها الخاص بها ،  
ويحكمها الزعيم المافاريتيس Mapharetes ( أى المعافيرى نسبة الى  
قبيلة المعافر فى جنوب تهامة ) بنوع من الحق القديم أو الشرعية ، اذ جعلها  
خاضعة لسيادة هذه الدولة التى كان منشأها الاول فى بلاد العرب ، وهم  
الذين يحكمون هذا الساحل ، ويعثون الى هناك عددا كبيرا من السفن  
عليها قباطنة عرب ، وهؤلاء قد تداخلوا مع السكان الوطنيين ، وتزاوجوا  
معهم ، وعلى معرفة بالساحل كما يعرفون اللغات ( الافريقية ) المحلية » \*  
ولو حللنا عبارة « ويحكمها زعيم معافيرى بنوع من الحق القديم » ،  
لعرفنا مدى قدم العلاقة والنفوذ الذى كان يتمتع به عرب جنوب الجزيرة  
فى مناطق سواحل أفريقيا الشرقية ، وكانت قبيلة المعافر تسكن فى الاصل  
على الساحل العربى الى الجنوب من تهامة (٨٠) وكان مينا مخا هو عاصمة  
هذا الاقليم ، فاذا كان مؤلف كتاب الطواف حول البحر الارترى والذى  
يرجع تاريخه الى حوالى عام ٦٠ بعد الميلاد يشير الى أن المعافير كانوا  
يحكمون هذا الساحل الافريقى بمقتضى حق قديم ، فان ذلك يعنى أن  
نفوذ عرب الجزيرة على هذا الساحل تمتد الى قرون سابقة على تاريخ  
تأليف هذا الكتاب ، وهذا ما يدعم رأينا فى أن النفوذ العربى على سواحل  
شرق أفريقيا بدأ يتزايد بعد سقوط دولة البطلمة ، وانقلاب قبضة يدها على  
موانئها فى شرق أفريقيا ، وهذا أعطى فرصة للتجار العرب للاقبال على  
أفريقيا طلبا للتجارة حتى أصبحوا يتحكمون فى أسعار التوابل دوليا (٨١) \*  
( م ٣ - المصريون والعرب )

ولو ذهبنا الى ما هو أبعد من تاريخ قبيلة المعاير العربية التي وجدت في كتاب الطواف ، فان قبائل البجة تعتبر أولى العناصر السكانية التي دخلت منطقة الحبشة والسودان حتى وادى النيل شمالا بعد هجرتها من الجزيرة العربية في عصور الهجرات السامية ابان العصور الحجرية ، لم يعد هناك شك لدى علماء المصريات أن سكان مصر في عصور ما قبل الاسرات ينتمون الى نفس السلالة التي تنتمي اليها قبائل البجة المهاجرة في الاصل من الجزيرة العربية (٨٢) ، ويضربون مثلا على ذلك بشعب بنى عامر - أحد فروع قبائل لبجة - فهم رغم ملامحهم الافريقية التي اكتسبوها من طبيعة البيئة والتزاوج مع الزوج - الا أنهم يتكلمون لغة سامية هي أصل اللغة العربية الجنوبية ) . ولقد اختلط العرب بقبائل البجة في أول الامر عن طريق مصر ، وتزاوجوا مع بعض فروعهم مثل الهدندوة وبنى عامر والامرار والبشارين ، ونتيجة لهذا التزاوج تعدلت بعض الصفات الجسمانية وملامح الوجه لهذه القبائل ، وأصبحت مميزة عن سائر فروع العنصر « الزنجى » (٨٣) .

وتعيش سلالة البجة اليوم في المنطقة الممتدة من أسوان في مصر شمالا الى الاطراف الجنوبية لهضبة الحبشة جنوبا ، ومن صحراء البحر الاحمر المصرية شرقا ، حتى السودان ونهر عطبرة غربا ، ولقد عرف الاغريق والرومان قبائل البجة لنشاطها الذي كان يهدد وجودهم في مصر ، وأطلقوا عليهم اسم البليميين Blemmyes ، والراجح أن هذا الاسم يرتبط ثقافيا ولغويا بأصلهم العربى (٨٤) .

وخلال القرنين السابقين على الاسلام ، عبر عدد غير قليل من الحميريين مضيق باب المندب خاصة بعد انهيار سد مأرب في القرن الخامس بعد الميلاد ، واستقر بعضهم في الحبشة ، وتحرك البعض الآخر متتبعا النيل الازرق ونهر عطبرة ليصلوا الى بلاد النوبة العليا (٨٥) ، بل استوطن بعضهم ساحل الصومال ، وقد سبق أن أشرنا أن اسم « مقديشيو » القديم كان يعرف باسم « حمر » نسبة الى اتسابهم الى قبائل حمير (٨٦) ،



ويقول ياقوت الحموي أن ملوك النوبة كانوا يزعمون أنهم من حمير<sup>(٨٧)</sup> ، وأن هؤلاء الملوك كانوا يتخذون لقب كاييل ولعل هذا اللفظ تحريف للقب « القيل » وهو اللقب الذي أطلق على بعض امراء حمير<sup>(٨٨)</sup> ، ويؤكد ذلك أيضا الشارات الملكية الحميرية التي وجدت طريقها الى بلاد النوبة العليا ، واتخذها بعض ملوكها شارات لهم<sup>(٨٩)</sup> ، بل نقل المهاجرون العرب الى النوبة بعض أسماء أجدادهم مثل كوة ، داروا ، وسبأ ، كما أنه من المحتمل أن مملكة « سوبا » في النوبة ربما أخذت اسمها من سبأ<sup>(٩٠)</sup> ، كما أن لفظ « بلى » وهو اسم قبيلة بلى القحطانية ، أصبح مرادفا للفظ عربى في اللغة التداوية لغة البجة<sup>(٩١)</sup> ، ومن المعروف أن قبائل بلى القحطانية كانت أكثر القبائل العربية انتشارا بعد انهيار سد مأرب ، فقد امتدت حتى صحراء سيناء شمالا وتمركزوا حول برزخ السويس<sup>(٩٢)</sup> . ومن المعروف أن القبائل العربية التي هاجرت الى الحبشة كانت تسكن قبل هجرتها على الساحل العربى أو قريبا منه - فمثلا قبيلة سهرت ( سحرت ) كانت على ما يبدو تسكن على رأس مضيق باب المندب في منطقة « مخا » الحالية ، وقبيلة « حبشت » أشهر القبائل العربية التي هاجرت الى أفريقيا كانت تسكن - حسب ماورد في النقوش العربية - على الساحل الجنوبي الغربى لشبه الجزيرة ، وقيل أنها اتخذت في هجرتها الطريق البحرى الذى يصل بين خليج مصوع وهضاب الحبشة العليا ، ثم اتجهوا جنوبا مارين بأقليم أكسوم وتكازة ، كما احتلوا الجانب الشمالى من الحبشة وغلبوا عليها حتى أن اسم هذه القبيلة غطى على اسم أكسوم ، ومن ثم أصبحت بلاد أكسوم تعرف ببلاد الحبشة<sup>(٩٣)</sup> . ومن أقدم القبائل العربية التي عبرت البحر الاحمر الى أفريقيا قبيلة الاجاز ( أو الاجازيان ) وكان أيضا موطنها على الساحل بين صنعاء وعدن ، ولهم نقوش كثيرة تذكرهم في الحبشة واليمن ، وقد فرضت لغتها العربية القديمة على الافارقة الاحباش ، وهى لغة الجعز أو لسان جعز نسبة الى هذه القبيلة<sup>(٩٤)</sup> .

هكذا يتبين أن هجرات عرب جنوب الجزيرة والخليج الى سواحل شرق أفريقيا والحبشة كانت منذ عصور قديمة ، اذ كان المهاجرون العرب يجدون في هذه السواحل ملجأ يفرون اليه ، سواء من الحياة القاسية ، أو صراع القبائل العربية الذي لم يتوقف ، أو بسبب الكوارث الطبيعية كحدوث الجفاف أو تهدم سد مأرب ، أو بسبب الصراعات الدثية بين اليهود والنصارى العرب كما سنرى ، وعلى أى حال فقد كانت أفريقيا •

سمى حد قول الطبرى - هى المنفذ الوحيد للعرب ليجدوا فيها الرزق باحتراف التجارة وسائر المهن المختلفة (٩٥) • ومن المفهوم أن نزاعا حدث في أول الامر بين المستوطنين العرب وأصحاب البلاد من الافارقة .

ثم بطول المقام بدأ العرب في التزاوج من الافريقيات ، وقد أدى ذلك الى ظهور المؤثرات العربية في الثقافة الافريقية كاللغة والكتابة والاسماء والدين ، ولم تلبث أن فرضت الحضارة العربية الجنوبية نفسها على حضارة الزنوج ، كما اكتسبت أجيالهم الملامح الافريقية الداكنة والشعر الاجعد ، ثم تفوق هؤلاء المهجنون على الزنوج الخالصين ، وبسطوا عليهم نفوذهم الاقتصادى والسياسى ، وأصبحوا يملكون زمام الحكم على الجزء الشمالى من الحبشة ، ثم على سائر البلاد ، وبلغ من تأثير النفوذ العربى أن تحدثت النقوش العربية الجنوبية عن الحبشة ( حبشت ) ، كما لو كانت جزءا من الجزيرة العربية وليس من أفريقيا • وبعد أن رسخت أقدام القبائل العربية في ساحل سمهرت الحبشى والهضبة الحبشية ، وتشابكوا عرقيا وثقافيا واقتصاديا مع الزنوج ، بدأوا يفرضون نفوذهم على سائر بلاد النوبة والساحل الصومالى معلنين قيام دولة أفريقية عربية حاضرتها مدينة أكسوم Oppidum Axumae ، ويلاحظ أن قيام هذه الدولة تزامن مع تدهور الدولة الحميرية الاولى في جنوب الجزيرة ، وكأن القوة انتقلت من بلاد العرب الجنوبية الى شرق أفريقيا ، ومن الاجداد العرب الخالصين ، الى الاحفاد الافارقة « المستعربين » •

وتزعم الاساطير الحبشية التى تأثرت بالاساطير الاغريقية المصرية

أن البطل الاسطوري اثيوبس Aethiops ( ومعناها بالاغريقية ذو الوجه المحترق ) الذى ورد اسمه فى اسطورة حرب طروادة ، كان ملكا على اقليم اثيوبيا جنوب اقليم طيبة المصرى ، وورد أن اسمه كان ممنون Memnon ، وأن أمه ربة الفجر اورورا Aurora ، وأنه لقي مصرعه فى الحروب الطروادية لانه كان يحارب الى جانب الاسيويين ضد الاغريق ، وقد تعتمد البطلمة اختلاق أسطورة حول تمثال ممنون فى الاقصر اللذان يكيان وينتجان عند طلوع الفجر ، وهذا يؤكد أهمية العنصر الاثيوبى فى عصور البطلمة المتأخرين وفى عصور الرومان ، ولا يهمننا ذلك بقدر ما تهمننا الاسطورة الحبشية التى زعمت أن هذا الملك قد انجب ابنا سماه أكسوماى ونسبوا اليه تأسيس هذه المدينة عاصمة الحبشة . لكننا لا نعرف شيئا عن تاريخ هذه المدينة قبل قيام الدولة العربية الافريقية فى الحبشة فى القرن الاول الميلادى ، ولعلها محاولة متأخرة من جانب الاحباش لتأصيل تاريخهم الى عصور حرب طروادة . كذلك لا نعرف ، بالتعديد الزمن الذى ظهرت فيه الرواية الحبشية التى تحدثت عن ملكة سبأ بلقيس والتى سماها الاحباش « ماقدة » ويزعمون أنها كانت ملكة على سبأ وأكسوم فى وقت واحد ، ويزعمون أنها انجبت من سليمان عليه السلام ولدا أسماه « منليك » أى ابن الحكيم ، وأن سليمان كناه بداوود ، واولاه ملك الاحباش ، له ولذريته من بعده من الذكور ، ونسبت الروايات الى منليك تأسيس دولة أكسوم ، غير أنه يبدو أن هذه الاسطورة من ابتكار نصارى الحبشة فيما بعد ، لان الآثار الحبشية تظهر بكل وضوح وجلاء أن الاحباش ظلوا وثنيين حتى القرن الرابع الميلادى ، ثم بعدها بدأوا يتحولون الى المسيحية (٩٦) .

ولقد كانت ديانة الاحباش حتى القرن الرابع الميلادى امتدادا لديانة عرب جنوب الجزيرة الوثنيين ، فأقدم النقوش الدينية الحبشية مقدمة الى « المقة » رب القمر عند السبئيين ، كما عشر أيضا على رموز ورسوم دينية لها صلة بالدين العربى الجنوبى ، مثل صورة الهلال وأمامه قرص

الشمس ( اللات ) ، وعلى رموز للرب العربي الجنوبي عثر ( العزى ) ،  
والذى كان طبقا للأساطير الدينية العربية الجنوبية ولد المقة ( القمر )  
من اللات ؛ فقد نقل العرب المهاجرون الى الحبشة ديانتهم التى تتمثل فى  
الثالوث السماوى السابق الذكر (٩٧) ، وبمرور الزمن وبتفاعل الحضارة  
العربية مع الحضارة الافريقية أضيفت الى قائمة الارباب العربية اربابا  
أفريقية رمزا للانصهار الثقافى والعقائدى بين الشعبين ، فقد ذكرت بعض  
النصوص المنسوبة الى الملك عيزانا قبل تنصره فى القرن الرابع الميلادى ،  
انه أقام عرشا فى حماية ثلاثة آلهة عثر وبراص ومدر . وعثر هو أحد  
اركان الثالوث المقدس عند عرب جنوب الجزيرة ، بينما نجد أن « براص »  
هو رب زنجى أفريقى قديم يرمز الى « الرعد » ، وكذلك « مدر » (٩٨) ،  
الذى ربما هو تحريف للربة الاغريقية ديميتير Demeter ربة الزراعة  
أو للربة الام عند الرومان Magna Mater ، والتى كانت ترمز الى  
الارض ، وبالفعل كانت مدر هى ربة الارض ، أى أن الثالوث الافريقى  
أسقط اللات والمقة ( الشمس والقمر ) وأحل محلهما الارض والزراعة ،  
وهو أمر طبيعى نظرا لاختلاف البيئة بين الشعبين .

وهذان الربان الجديدان أوجدهما المهاجرون بعد امتزاجهم بالثقافة  
والتراث الافريقى . بل انتقلت هذه الديانة العربية الحبشية الى الجزيرة  
العربية ذاتها . وجدير بالذكر أن نفس الشيء حدث فى شمال أفريقيا  
عندما نقل التجار القرطاجيون العبادات الوثنية القرطاجية الى القبائل  
الافريقية فى غرب أفريقيا ، غير أن القرطاجيين لم يمتزجوا ويتزاوجوا مع  
قبائل غرب ووسط أفريقيا على نحو ما فعل عرب جنوب الجزيرة ، انما  
كانت علاقتهم بالافارقة علاقة تجارية بحتة ، ومن خلال التعامل التجارى  
تسللت الحضارة الفينيقية الى قبائل الزنوج على طول نهر النيجر ، لتساهم  
فى تطور حضارة غرب ووسط أفريقيا .

ولقد كانت لغة اكسوم — مثلما كان دينها — سبئية عربية ، لغة  
وكتابة ، وذلك فى الطور المبكر من تاريخ هذه الدولة الافريقية ، وبمرور

الزمن بدأت اللغة السبئية العربية في الحبشة تتطور في شكلها وموضوعها. فلم ينته القرن الرابع الميلادي حتى أصبحت لغة الحبشة متميزة في صور حروفها وطريقة كتابتها عن اللغة العربية الجنوبية الام ، فقد انفتحت هذه اللغة الوليدة على اللغات الحامية الافريقية الاخرى (٩٩) . ولا تزال اللغة الامهرية في الحبشة الحديثة لغة سامية العرق والاصول ، وتحفظ بسمات اللغة العربية الجنوبية التي انقرضت بعد سقوط الدولة الحميرية . كما أن الابدجية التي لا يزال الاحباش يكتبون بها تحتفظ بكثير من أشكال الخط المسند الذي كان يكتب به عرب الجنوب حتى القرن الخامس الميلادي .

ومن العوامل التي ساعدت على احداث الافتراق بين الثقافة واللغة في جنوب الجزيرة وبين الحبشة ، الافتراق الديني ، فبينما بدأت اليهودية تنتشر في أواخر أيام الدولة الحميرية ، نجد أن المسيحية بدأت تنتشر في نفس الوقت تقريبا في الحبشة ، فقد شهدت العقيدة اليهودية ازهى أيامها في القرون الثلاثة السابقة على الاسلام ، ولكن ليس في فلسطين ( التي طرد الرومان اليهود منها مرتين مرة عام ٧٠ ميلادية على يد طيطوس Titus ومرة أخرى عام ١٣٢ ميلادية على يد هادريانوس الذي غير حتى اسم اورشليم الى اسم روماني وثني وهو ايليا كاييتولينوس Aelia Capitolinus ) وانما في جنوب الجزيرة العربية ، فقد نجح المبشرون اليهود منذ القرن الرابع الميلادي في تهويد بعض ملوك الدولة الحميرية (١٠١) ، وتقول الروايات العربية أن أول من اعتنق اليهودية من هؤلاء الملوك هو أبو كرب أسعد كامل ( ٣٨٥ - ٤٢٠ م ) الذي خلدت فتوحاته وتوسعاته في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج في أشعار حماسية عربية . وقد حمل المبشرون اليهود معهم حقدهم على الروم ، وعلى العقيدة النصرانية ، والتي يعتبرها اليهود مؤامرة للقضاء على تساميمهم على الشعوب الاخرى وعلى عقيدتهم ، ومن ثم وقفوا بالمرصاد لابطال حركات التبشير النصرانية التي بعث بها ملوك الروم الى جنوب الجزيرة ، أو جعلها في أضيق نطاق . واستخدم

اليهود نفوذهم المالى والاجتماعى لتحريض ملوك حمير على المسيحية وعلى حمايتها الروم الشرقيين ، وبالطبع كانت الدولة الساسانية المجوسية فى فارس ، والتي كانت تدعو الى طرد الروم من الشرق الادنى ، تبارك وتدعم هذا الدور لضعاف نفوذ امبراطوريتهم فى جنوب البحر الاحمر . وردا على ذلك عملت امبراطورية الروم على نشر المسيحية فى الحبشة ، وتحويل هذه الدولة - بعد ربطها بوشائج الثقافة الروحية معها - الى دولة تابعة لها ترعى مصالحها فى جنوب البحر الاحمر وشرق افريقيا ، بل وفى شبه الجزيرة العربية نفسها ، بجعل الحبشة حامية للعقيدة النصرانية فى هذه المنطقة .

كانت أول سفارة نصرانية الى الجنوب العربى تلك التى أرسلها الامبراطور قسطنطيوس خليفة قسطنطين الكبير عام ٣٥٦ ميلادية برئاسة المبشر ثيوفيلوس (Theophilos) الهنذى ، وذلك لنشر النصرانية بين عرب الجنوب على المذهب الاربوسى مذهب كنيسة الروم ، وقد أفلح ثيوفيلوس فى انشاء كنيسة فى عدن ، وكنيستين أخريين فى أرض حمير ، ومن ناحية أخرى عمل العرب السريان فى الشام على نشر المسيحية على المذهب المونوفيزى بين أشقائهم عرب الجنوب ، وتذكر كتب التراث العربى القديم أن أول من بشر بالمذهب المونوفيزى راهب اسمه قميون (Kimion) الذى جعل مدينة نجران مركزا للكنيسة المونوفيزية ، وقد نقل لنا ابن هشام والطبرى حكاية هذا الراهب السورى ، وكيف وقع أسيرا فى أيدي قافلة عربية جاءت به الى نجران . وقد بقيت كنيسة نجران صامدة لمؤامرات اليهود ، والى هذه الكنيسة أرسل الاسقف السورى يعقوب السروجى المتوفى عام ٥٢١ ميلادية كتابا بالسورىانية يحث نصارى نجران على الجهاد الروحى والثبات ضد الاضطهاد اليهودى (١٠٢) . غير أن مجهودات امبراطورية الروم فى نشر المذهب الاربوسى فى الجنوب العربى تكاد أن تكون قد فشلت تماما بفضل كراهية اليهود للروم ولمسيحتهم ، أما النصرانية المونوفيزية فكانت جيا صغيرا

في نجران ، وربما كان كراهية المونوفيزيين للروم ومذهبهم الاريوسى سببا في بقائهم وعدم سحقهم تماما . أما اليهودية فقد أخذ ساعدها يشتد ، حتى اذا ما أقبل القرن السادس الميلادى ، صارت لليهود صولة وجولة وتموذ في اليمن (١٣) ، وكان يوسف ذو نواس سليل التبع أسعد كامل ، من أشد ملوك حمير تعصبا لليهودية .

أما بالنسبة للحبشة ، فقد كانت أرضا خصبة للتبشير النصرانى على المذهب المونوفيزى ، وقد سبق أن تحدثنا عن دور كنيسة الاسكندرية في القرنين الثانى والثالث الميلاديين ولجوئهم الى النوبة ، وعن تعميد اساقمة الاسكندرية لبعض الرهبان الاثيوبيين ، لكن التبشير المصرى المسيحى بقى محصورا في الشمال ، بينما بقيت أغلب قبائل الحبشة وثنية تدين بالدين العربى الجنوبى حتى القرن الرابع الميلادى . وفى عام ٣٣٠ ميلادية وصل الى الحبشة المبشر السكندرى فرمنتىوس Fermentius

وراح يشر بالمذهب المونوفيزى ، وقد اعتنق ملك الحبشة عيزانا (١٤) ، ( الذى حكم الحبشة من ٣١٧ الى ٣٢٤ م ) النصرانية على يد فرمنتىوس ، وعينه اسقفا على أول كنيسة حبشية في القرن الرابع ، وقد اختار الأحباش اسما عربيا لهذا المبشر الاغريقى المصرى وهو « باسلامة » ، ومن الجدير بالذكر أن عيزانا عاصر الامبراطور الرومانى قنسطنطين الكبير الذى كان قد اعتنق النصرانية أيضا ، وعمل على احياء الدولة الرومانية القديمة من جديد ولكن بديانة جديدة وهى النصرانية ، وربما حاول عيزانا أن يقلد قنسطنطين ببناء دولة حبشية جديدة بدين جديد يقوم على النصرانية المونوفيزية . لان عيزانا كان يتطلع لبناء امبراطورية حبشية بعد فتح أرض أجداده العرب ، وكان هذا فاتحة عهد من الصراع بين وطن الاجداد في جنوب الجزيرة ووطن الاحفاد في الحبشة غير أن مجهودات فرمنتىوس بقيت مقصورة على نطاق القصر الملكى ورجال الطبقة العليا ، لان غالبية الاحباش بقوا على الدين العربى الافريقى الوثنى . أما الفضل الاول

في نشر النصرانية المونوفيزية في الحبشة فيرجع الى نصارى عرب الشمال ، أقصد السوريين \* فمنذ نهاية القرن الخامس الميلادي ، قدم الى الحبشة وفد من تسعة رهبان من السوريين ، بعد أن رفضوا قرارات مجمع أفسس ( ٤٣١ م ) ومجمع خلقدونية ( ٤٥١ م ) ، وعملوا جاهدين على نشر النصرانية المونوفيزية على المستوى الشعبي ، وبذلك بعثوا النشاط في دعوة فرمنتوس السكندري ، وبدأت الديانة الوثنية العربية الافريقية تتضاءل تماما ويحل محلها النصرانية العربية القادمة من شمال الجزيرة ، وبوصول المبشرين السريان الى الحبشة بدأ تأثير الثقافة العربية السورية على ثقافة الحبشة ( ١٠٠ ) \* فقد بدأ السوريون يدخلون تعديلات على اللغة الحبشية لتناسب الروح المسيحية ، فأبتكروا بعض الحروف المتحركة ، و اضافوا مترادفات دينية جديدة ، وغيروا من طريقة كتابتها ، فجعلوها تكتب من الشمال الى اليمين ، بدلا من طريقة المحراث Boustrophedon التي كان يكتب بها العرب الجنوبيون ونقلوها الى الاحباش \* ومن المعروف أن الثقافة العربية الشمالية في الشام ، تشربت كثيرا من روح الحضارة والثقافة الهلينستية ، فاللغة السورية ذاتها خليط من السامية الشمالية واللغة الاغريقية ، ومن الجدير بالذكر أن اللغة المصرية القديمة تعرضت هي الاخرى لتغيير في حروفها ومترادفاتھا لكي تصبح صالحة لنقل الاناجيل اليھا ، مما أدى الى مولد اللغة القبطية في نفس الوقت الذي ظهرت فيه اللغة السورية تقريبا \* ومن ثم تأثرت اللغة الحبشية في الجنوب بما حدث في لغات مصر والشام \* خاصة أن النقوش اليونانية بدأت أيضا تكثر في الحبشة مع دخول المسيحية باعتبارھا اللغة التي ترجمت اليھا الاناجيل ، ولغة التبشير المسيحي في حوض البحر المتوسط \*

ولقد أثبتت دراسة النقوش التي عثر عليها في الحبشة سواء عربية قديمة كانت أو أكسومية أو أغريقية أبعادا قديمة لتطوعات الاحباش لاحتلال جنوب الجزيرة العربية منذ اواخر حكم الدولة السبئية وبدأ ذلك بتدخل الاحباش في الصراعات التي دارت بين ملوك سبأ وبنى همدان



التمردين عليهم ، فقد ذكرت هذه النقوش أن الملك الحبشى « جدرت » تبادل الرسائل مع قادة التمرد من بنى همدان ، وبالرغم من نجاح ملك مباء الشرعى فى استعادة ملكه ، غير أن الاحباش كانوا قد وضعوا أقدامهم فى الجزيرة العربية ، وأقاموا لهم قاعدة عسكرية هى « سحرت » عند الطرف الجنوبى الغربى للجزيرة العربية (١٠٦) .

ومن أشهر ملوك الحبشة الذين تدخلوا فى شئون الجزيرة العربية الملك أفيلاس Aphillas (٢٧٧-٢٩٠ م) ثم الملك سمبروتس أو ال عميدا (٣١٤-٣١٦ م) ثم عيزانا (أو اذينة الحبشى) (٣١٧-٣٤٢ م) . ولقد نقل لنا الرحالة كوزماس بحار الهند Cosmas Indicopleustes فى النصف الاول من القرن السادس الميلادى بعض النقوش الاغريقية التى كانت موجودة فى ميناء عدول (١٠٧) من بينها نقش يتحدث عن القاهر الاكسومى صاحب الفتوحات الشاسعة التى امتدت شمالا حتى حدود مصر حيث أخضع قبائل البجة ، وجنوبا حتى القرن الافريقى ، وتحدثت النقوش عن مغامرات هذا الملك الاكسومى فى بلاد العرب ، وكيف أنه عبر البحر الاحمر ، وأخضع القبائل العربية فى جنوب الجزيرة ، ولعلها القبائل العربية التى تقطن الى الشمال من أرض حمير ، ثم تقول النقوش أنه أخضع قبائل الكنايدو كولبيت ( ولعلها قبائل كندة أو كنانة التى كانت تقطن ساحل البحر الاحمر المطل على ميناء الحديد الحالية ) ، ثم زحف هذا الملك بجيوشه الى قلب الجزيرة العربية ، حتى وصل الى ميناء ليوكى كومى ميناء الحوراء بالقرب من ميناء الوجه بشمال غرب الحجاز) وبسط نفوذه عليه ، ويرى كوئتى روسينى Conti Rossini الذى درس هذه النقوش ، أن كل الادلة والظواهر تؤكد أن هذا الملك الاكسومى الذى تمجده هذه النقوش ليس الا الملك أفيلاس ، وأنه فعلا توسع فى بلاد العرب ، ويدل على ذلك بأن عملة الحبشة فى تلك الفترة أخذت تقلد عملات جنوب الجزيرة النقدية شكلا ووزنا وقيمة (١٠٨) .

ولما نهضت الدولة الحميرية الثانية على يد الملك الحميرى شمر يهرعش،  
والذى ذكرته الاساطير العربية بأسم شمر يرعش ( ٢٨٠ - ٣١٠ ميلادية )  
وأشادت بفتوحاته ، ولقبوه بالتبع الاكبر ، وجاء ذكره فى القرآن  
الكريم (١٠٩) ، وقام هذا التابع الاكبر بطرد الاحباش من اليمن ومن  
قاعدتهم فى « سحرت » وقد عاصر هذا التابع عهود الابطرة الرومان  
دقلديانوس وقنسطنطين الكبير . غير أن ملك الاحباش الجديد ال عميدا  
( سمبروتس فى اليونانية ) قام فى مطلع القرن الرابع الميلادى بحملة  
انتقامية على الدولة الحميرية ، اعادت « سحرت » الى الاحباش ، بل  
ضمت بلاد العرب الجنوبية الى الدولة الحبشية حسب زعم نقوش  
الحبشة (١١٠) . وفى عام ٣١٦ ميلادية مات ال عميدا تاركاً طفلاً صغيراً  
هو عيزانا Ezana ، فسرى الضعف فى ممتلكات الحبشة فى الجزيرة  
العربية ، واثارت القبائل العربية على حكم الاحباش ، واستغل أحد  
ملوك الحيرة واسمه امرؤ القيس ( المتوفى عام ٣٢٨ م ) ، وطرد الاحباش من  
الجزيرة العربية ، ولقد عثر العالم دوسو Dussaud على كتابة فوق  
ضريح هذا الملك فى النمارة بالصفاء ( حوران ) وهى أقدم كتابة بالخط  
العربى الشمالى المأخوذ عن الكتابة النبطية ، والذى لا نزال نستخدمه  
فى كتابة اللغة العربية حتى الآن ، ويقول مطلع هذا النقش العربى  
« تى نفس مر القيس بر ملك العرب كله ذو اسر التاج » أى هذا ضريح  
امرؤ القيس ملك كل العرب ، صاحب التاج . ، ويقول امرؤ القيس فى  
هذا النقش أيضاً أنه بلغ فى فتوحاته فى الجزيرة العربية حتى مدينة شمر  
ونجران (١١١) .

وفى عام ٣٣٠م اعتنق عيزانا ملك الحبشة النصرانية المونوفيزية على  
يد أحد رجال الدين السكندريين وهو فرمنتئوس ، وعينه مطراناً على  
الحبشة بعد منحه لقب « أباً سلامة » ثم أعاد النظام الى مملكته ، ونهض  
بها . ثم سار بقواته الى مملكة مروى فأعاد اخضاعها بعد أن كانت قد  
تمردت على حكم الاحباش ابان فترة الفوضى التى تلت موت ال عميدا ،

وبعد اخضاعها قام بتحطيم أصنامها الوثنية ، وفرض عليها المسيحية  
المونوفيزية •

وعلى الناحية الاخرى من البحر الاحمر ، تتحدث الروايات العربية  
عن أحد ملوك حمير الذين تهودوا واسمه دميافوس وهو سليل التبع  
أسعد كامل المتهود ، والذي كان معاديا للروم وللنصرانية ، حتى أنه راح  
يضايق التجار الروم عند عبورهم ببضائعهم أرض اليمن أو مياها •  
خاصة أن الحرب كانت مستعرة بين الروم وبين الفرس في ذلك الوقت •  
وربما اراد دميانوس أن يظهر حسن نواياه تجاه الفرس ، فقام بأسر قافلة  
من التجار الروم القادمين من مملكة الحبشة الى مصر ، وأمر بقتلهم ،  
وانتقاما من هذا الملك الحميري قام امبراطور الروم زينون Zeno  
بالتعاون مع ملك الحبشة أيدوج Aidog ، وسيرا حملة على حمير  
حوالي عام ٤٨٠ بعد الميلاد ، انتهت بتمكين الاحباش من استعادة نفوذهم  
في اليمن ، ولقى دميانوس مصرعه ، وولى الاحباش أميرا حميريا نصرانيا  
عميلا لهم ، وما أن غادر ايدوج وقواته أرض اليمن ، حتى أنقض اليهود  
على هذا الملك الدمية وقتلوه ، وولوا أصغر أبناء دميافوس ملك حمير  
السابق واسمه « زرة » - على عرش حمير • وبعد تتويجه تهود زرة  
وغير اسمه الى يوسف ذو نواس • ولقد كان يوسف ذو نواس يمثل الروح  
القومية العربية مثل جده أبو كرب أسعد كامل ( ٣٨٥ - ٤٢٠ م ) فقرر  
أن ينتقم من النصارى المونوفيزيين في معقلهم في مدينة نجران وذلك  
لمساعدتهم وتعاونهم مع ابناء عقيدتهم من الاحباش ، فدخل هذه المدينة  
بقواته ، وفي أحد أيام شهر أكتوبر ( تشرين الاول ) من عام ٥٢٣ ميلادية  
في عهد الامبراطور الرومي جوستين الاول ، جمع يوسف ذو نواس من  
نجا من النصارى وخيرهم بين ترك النصرانية المونوفيزية والتحول الى  
اليهودية أو الحرق أحياء ، فأراد هؤلاء النجرائيون أن يشتوا ليوسف  
أنهم ليسوا أقل من نصارى مصر والشام جبا في الاستشهاد من أجل الثبات  
على العقيدة ، فرفضوا مطلبه ، فأعد لهم يوسف أخدودا أضرم فيه النيران

وألقى بهم فيه ، وعلى رأسهم اسقهم عبد الله بن التامر خليفة قميون ، وترك هذا الانتقام ذكرى مريرة في نفوس النصارى العرب . ولقد اذان القرآن الكريم بعد أكثر من قرن من الزمان هذا العمل الاجرامى بلهجة غاضبة كأن الحادثة قد وقعت بالامس (١١٢) . وجاء في أخبار العرب أن أحد الناجين واسمه « دوس ذا ثعلبان » أفلت ولجأ الى القسطنطينية ومثل في بلاط جوستين الاول ، وروى له خبر المأساة ، وكان جوستين يعتبر نفسه حاميا للعقيدة النصرانية ، ولما كان الشهداء من المونوفيزيين وليسوا من الاربوسيين ، فلم يتحمس الامبراطور كثيرا . وقال لدوس ذا ثعلبان - حسب ما ورد في أخبار العرب على لسانه « نأت بلادك عنا فلا نقدر أن تتناولها بالجنود ، ولكننى سأكتب الى نجاشى الحبشة (وهو كلب الا أصبحا حسبما ذكرته النقوش) وهو أقرب ملوك النصرانية الى بلادك » . ووجد كلب الا أصبحا أن الفرصة مواتية لاحتلال جنوب الجزيرة العربية ، وتحقيق حلم الاحباش القديم ، بأعتبره الملك الحامى للعقيدة المونوفيزية ، وعلى الفور ارسل حملة بقيادة قائد اسمه ارياط (١١٣) ، ويعاونه زعيم من الاحباش المقيمين في بلاد العرب اسمه ابرهة ( ابراهيم بلغة الاحباش ) ، وفي أواخر عام ٥٢٣ م عبرت قوات الاحباش البحر الاحمر على ظهور سفن الروم ، ونزلت بساحل اليمن ، وتقدمت نحو نجران ، وقاوم الحميريون عبثا ، وأخيرا كما يروى الطبرى رأى ذو نواس أن لا طاقة له بالاحباش ، فركب فرسه ، واعترض البحر فأقتحمه . فكان آخر العهد به » ، ودخل الاحباش عاصمة الدولة الحميرية الثانية وهى ذمار أو ظفار ، وهكذا كانت خاتمة آخر مملكة عربية جنوبية قبل الاسلام . ولهذه الحملة أهمية كبرى فهى تكشف سعى امبراطورية الروم الى الاستعانة بالحبشة كى تبسط سلطانها على قبائل العرب وتستخدمها فى مناوأة الفرس .

وكان أول عمل قام به أرياط هو إعادة النظام الى البلاد ، وقمع الحرب الاهلية التى كانت مستعرة بين اليهود والنصارى ، وخوفا من

أن يفتك النصارى المونوفيزيون باليهود انتقاما لضحايا محرقة الاخذود ، قام الاحباش بتهجير اليهود العرب من جنوب الجزيرة الى الحبشة ، ضمانا لعدم ترددهم عليهم وحتى يكونوا تحت رقابة الدولة الحبشية ، وهؤلاء اليهود العرب الذين ينتسبون الى يوسف ذو فواس ، نسبوا أنفسهم عندما أقاموا في الحبشة الى متليك ابن سليمان من ملكة سبأ ، ولقد أطلق هؤلاء على أنفسهم اسم الفلشة أو الفلاشا ، ولا يزالون يعيشون حتى اليوم في المنطقة الواقعة بين اكسوم وغندار ، ويتكلمون لغة كوشية هي لغة الاجاو ، ولا يعترفون من التوراة الا بالاسفار الخمسة الاولى ، والتي يقرأونها بلغة الجعز لغتهم القومية العريقة ، وبمرور الزمن اندمجوا مع العناصر الزنجية الافريقية ، وأثروا فيها كما تأثروا بها ، ومن المعروف أن الدولة اليهودية في فلسطين تقوم حاليا بنقل وتهجير هؤلاء الفلاشا الى اسرائيل (١١٤) .

ولم يمض وقت طويل على نزول الحملة وسيطرتها على البلاد ، حتى دب الخلاف بين أحباش أفريقيا وأحباش اليمن ، وكان أحباش اليمن يتطلعون لحكم اليمن والاستقلال به عن التاج الاكسومي ، وكان يتزعمهم أبرهة مساعد أرياط ، وفي نفس الوقت اعاد الاحباش نفوذ الروم في جنوب البحر الاحمر ، مما جعل الفرس يعملون على بث الشعور الوطني العربي ضد الاحباش ، فثارت بقايا امراء حمير ، ولقد سجل الهمداني نقشا قرأه على بعض أطلال قصور ملوك حمير الغابرين وترجمه الى العربية ويقول هذا النقش « لمن ملك ذمار ؟ لحمير الاخيار لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الاشرار ؟ لمن ملك ذمار لفارس الاحرار ؟ لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار » (١١٥) .

ولقد تزعم السميغ أشوع الثورة على حكم الاحباش ، والمؤرخون الروم يعرفون السميغ ويسمونه باللاتينية اسميفايوس Esimiphaeus ، وكان السميغ قد اعتنق النصرانية الاريوسية التي هي مذهب كنيسة القسطنطينية وذلك على يد الاسقف جرتينوس الرومي Gretnus

وتحت ضغط القسطنطينية ولاء الاحباش حكم اليمن ، ولقد كان جرتينوس معروفا بعدائه السافر لليهودية وللنصرانية المونوفيزية ، وحاول السميعف تطبيق ارائه مما أدى الى ثورة الاحباش عليه ، وانهز ابرهة الفرصة وعزل السميعف ، وجلس مكانه على عرش حير عام ٥٣٠م طبقا للتقاليد الافريقية والتي تعطى أبناء البنت حق ارث الاخوال . ولا ندرى ماذا حدث للسميعف ، غير أن النقش الشهير الذى عثر عليه فى حصن الغراب فى حضرموت وتاريخ تدوينه عام ٥٢٥ ميلادية ، يذكر أن السميعف الملك العربى الحميرى قد هرب الى الجبال مع اولاده وتحصن فيها للمقاومة ، ولكن النقش لم يذكر لنا نتيجة هذه المقاومة التى يبدو أنها قد تبددت .

ولم يمض وقت طويل ، حتى بدأ الاحباش اليمينيون بقيادة ابرهة يطالبون بالاستقلال عن دولة الحبشة الافريقية ، وقاد ابرهة تمردا على مولاه ملك أكسوم ال اصبحا ، وتمكن ملك أكسوم من ارسال قوات الى اليمن قمعت هذا التمرد ، وارغم ابرهة على دفع الجزية للدولة الام فى افريقيا ، والخضوع لها . غير أنه بعد موت ال أصبحا جلس على عرش الحبشة ملك ضعيف اسمه بيت اسراييل ، فقبل مطلب ابرهة ، واعترف بسيادته على اليمن ، وأن تكون تبعيته للدولة الاكسومية فى أفريقيا تبعية اسمية ، والى هذه الفترة ومن الزمن نجد نقشا لابرهة على بعض أحجار سد مأرب يلقب نفسه فيه بالامير التابع لملك الحبشة وأنه « ملك سبأ وريدان وحضر موت ويمنات وعرب النجار وعرب تهامة » (١٦) .

بدأ ابرهة حكمه كنائب لملك الحبشة لحكم بلاد العرب الجنوبية بهمة ونشاط ، فأخذ يحكم قبضته على بعض المناطق المتطرفة فى جنوب الجزيرة والتى وجد أنها فى حاجة الى ادارة حازمة ، واختار لذلك اعوانا من زعماء العرب الاقوياء ، فولى يزيد بن كبشة أمر القيادة والادارة على امارة كندة ، ثم أوكل اليه أيضا الاشراف على المناطق الاخرى التى

كان يحكمها بعض أقيال سبأ والاسحار ، حتى كاد يزيد أن يكون الوزير العربى لأبرهة ، ونجح يزيد بن كبشة فقمع المتمردين فى سبأ ، وسير الحملات لتأديب القبائل التى لم تكن قد اذنت لحكم الاحباش ، وأخذ منهم الرهائن حتى تمت له (١١٧) الغلبة . وهذا يدل على أن أبرهة حاول أن يقيم حكومة تجمع بين عرب الجزيرة وأحباشها وذلك حتى لا يظهر الاحباش بمظهر المحتلين ، خاصة أن الاحباش كانوا يعتبرون غزوهم لليمن ، عودة الاحفاد الى ارض الاجداد (١١٨) ، فقد كان الاحباش يطلقون على ساحل أفريقيا جنوب باب المندب منذ القرن الاول الميلادى الساحل العربى الاوسافى لكثرة العرب الموجودين فيه (١١٩) .

ويعتبر المتخصصون فى تاريخ امبراطورية الروم الشرقية أن المد الحبشى فى جنوب الجزيرة العربية هو عودة لنفوذ الروم فى جنوب البحر الاحمر وانحسار لنفوذ الفرس فى هذه المنطقة ، ومن ثم كان من الطبيعى أن يسعى الروم بعد هذا المد الى محاربة النفوذ الفارسى . واتجهت سياسة الروم الى توحيد القبائل العربية وتأليبها على الفرس (١٢٠) ، وتحت هذا التأثير قامت بعض قبائل معد وحمير بتجريد حملة كبيرة على أرض فارس . وبالطبع كانت سياسة أبرهة هى تدعيم العرب المعادين للفرس تطبيقا لسياسة القسطنطينية . ويذكر المؤرخ الكنسى بريكويوس أن ابراموس (أبرهة باللاتينية) وعد جستينان الامبراطور الرومى بغزو أرض فارس ، وذلك لفتح جبهة جديدة تخفف من هجوم الفرس على منطقة بلاد الرافدين وآسيا الصغرى ، ويبدو أن أبرهة لم يوفق فى غزو منطقة الخليج العربى وعاد أدراجه ، لان ذلك كان مشروعا يفوق امكانياته .

ويبدو - والله أعلم - أن الفشل فى هذه المغامرة هو الذى دفعه الى الاقدام على مغامرة أخرى ، وهى محاولة غزو مكة والحجاز ، الذى كان يشهد فى ذلك الوقت رخاء اقتصاديا وحضاريا (١٢١) لم يشهده من قبل ، فقد تدفق على مدنه العامة عرب الجنوب الفارون من غزو الاحباش ، حاملين معهم كل تراث الماضى وخبراته مما بعث الحياة فى قراه فثمت الى مدن خاصة ،

( م ٤ - المصريون والعرب وعلاقاتهم بأفريقيا )

وبالذات مكة مقر البيت العتيق ، الذي تأتى اليه قبائل العرب قاطبة للحج كل عام ، أو للعمرة طوال العام ، وفي ظلال اصنامهم تعقد الصفقات التجارية التي يشهدون عليها أربابهم ، كما ان سياسة امارة مكة المحايدة في الصراع بين القوتين العظميين الروم والفرس ، جعلها تستثمر السلام في تحقيق الرخاء ، فقد كان في مكة بيوتات تجارية للروم (١٣٢) وبيوتات تجارية للاحباش ، الذين كانت سفنهم تسير في خط ملاحى دائم بين ميناء الحبشة الاول « عدول » وميناء مكة الوحيد « الشعبية » واغلب الظن ان أبرهة قد خشى من تعاظم دور مكة الاقتصادية والدينى الى درجة قد تتزعزع عرب الجزيرة وتدعو الى الوحدة وطرد الاحباش من الجنوب ، فضلا على أن تعلق العرب بعباداتهم الوثنية في الكعبة ، مما أفسد أحلام أبرهة في نشر النصرانية المونوفيزية بين العرب ، وجعلهم تابعين لكنيسة الحبشة . ولهذا عقد العزم على السير شمالا لغزو مكة وهدم الكعبة . وتقدمت قواته من الجنوب في اتجاه مكة ، وقد جعل في مقدمتها فيلة مدربة تكتسح أى شىء يقف أمامها ، غير أن أبرهة لقي هزيمة مؤلمة تفوق تلك التي لقيها الرومان في جنوب الجزيرة منذ ستة قرون سبقت تقريبا ، فكاد أبرهة أن يهلك هو وجيشه مما لقيه من وعورة المسالك ، وتفشى الاوبئة والامراض التي وصفها الطبرى بقوله « ان أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب في ذلك العام » (١٣٣) . ولقد اختلف المؤرخون المسلمون في تحديد تاريخ هذه الحملة التي عرفها العرب بعام الفيل . فبعضهم جعلها تحدث في عام ٥٧٠ ميلادية ولكن ذلك التاريخ لا يتماشى مع سير الاحداث ، وتتفق الآراء على جعلها عام ٥٤٠ (١٣٤) ميلادية وهو الأكثر صوابا .

ولم يعيش أبرهة طويلا بعد هزيمته ، فمات تاركا حكم الجنوب العربى لولديه : الاكبر واسمه يكسوم وهو من أم حبشية ، والاصغر واسمه سنطورق Sanaturces من أم عربية عريقة النسب ، وتجرى في عروقها الدم الملكى الحميرى ، وقد حكم يكسوم تسعة عشر عاما ، ثم حكم أخوه اثنتا عشرة عاما . ولقد حرفت الروايات العربية اسم سنطورق الى



المسروق لتنسج حوله حكاية طويلة ملخصها أن أبرهة حاول أن يوحد  
العنصرين الحبشي والعربي بأن يجعل أحد أبنائه يجمع بين الدين ، وهذاه  
تفكيره الى أن يربط سلالته بآخر سلالة اسرة حميرية ، ولهذا انتزع من  
أبى مرة الفياضى الملقب بأسم ذى يزن زوجته وكانت تسمى ريحانة بنت  
ذى جدن ، رغم أنه كان لها ولد فتى من زوجها العربى وكان يسمى  
معد يكرب ، وقد رفضت ريحانة أن تجعل أبرهة يقترب منها ، غير  
أن أبرهة تمكن منها خلصة وهى نائمة فولدت له ولدا سماه هو سنطورق  
Sanaturces وسماه العرب « المسروق » ، ويستطرد الخيال العربى  
ليروى كيف شب معد يكرب بن ذى يزن حاقدا على الاحباش ، وراح  
يسعى لطردهم من البلاد واستعادة ملك أبيه ، وأدرك أن قبائل الجنوب  
قد تشتت ، وأن تحقيق هذا الحلم لن يتم ، الا بمساعدة احدى القوتين  
العظميين اللتين كانتا تتنازعان على امتلاك الشرق الادنى فى ذلك الوقت  
وهما الامبراطورية الساسانية المجوسية والامبراطورية الرومية المسيحية .

سافر معد يكرب بن ذى يزن الى القسطنطينية ، ويروى لنا الأخباريون  
العرب أنه مثل أمام الامبراطور جستين الثانى ( ٥٦٥ - ٥٧٨ م ) طالبا  
منه مساعدته فى طرد الاحباش مقابل أن يقدم لدولة الروم كل ما يكفل  
لها السيطرة على جنوب البحر الاحمر وتأمين تجارتها ، بل والتحالف معها  
ضد الدولة الساسانية الفارسية ، ويروى لنا الطبرى أن هذا الامير  
الحميرى ظل ينتظر رد امبراطور الروم حتى قيل أنه أقام بيابه (٣٥)  
سبع سنين كاملة حتى جاء الرد بالرفض ، وهو أمر طبيعى فقد كان التحالف  
قويا بين الروم والحبشة ، فضلا على أن الاحباش كانوا على دين النصرانية  
مثل الروم حتى ولو اختلفوا فى المذهب . ويقول المسعودى على  
لسان جوستين أنه خاطب سيف بن ذى يزن قائلا « أتمم يهود والحبشة  
نصارى ، وليس فى الديانة أن تنصر المخالف على الموافق » (١٣٦) ، فلم  
يجد سيف أمامه سوى اللجوء الى دولة فارس ، وكان واسطته فى ذلك  
النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذى رتب لقاء بين سيف وبين الملك كسرى  
انو شروان ( ٥٣١ - ٥٧٨ م ) فى طيسفون عاصمة فارس ، ووافق كسرى

على ما عرضه سيف ، وارسل معة قوة فارسية بقيادة وهرز بن الكامجار حملت على ثمان سفن رست عند ساحل حضرموت ، ولما علم سنطورق بأمر نزول الفرس ، سار اليهم فى مائة الف من جنود الاحباش واتباعه من الحميريين والبدو ، لكن وهرز هزم الاحباش ، وأجلاهم عن اليمن ، وعين سيف بن ذى يزن ملكا بشرط أن يؤدى الجزية السنوية لفارس ، ويقول الطبرى أن سيف بن ذى يزن بدأ حكمه باضطهاد الاحباش ، فثاروا عليه وقتلوه ، ولما بلغ ذلك كسرى ، بعث اليهم وهرز مرة أخرى فى أربعة آلاف من الفرس وأمره « الا يترك باليمن أسودا ولا ولد عربية من أسود الا قتله صغيرا أو كبيرا ، ولا يدع رجلا جعدا قططا قد شارك فيه السودان الا قتله ، فأقبل وهرز حتى دخل اليمن ، ففعل ذلك ولم يترك حبشيا الا قتله » (١٣٧) .

وبالرغم من طرد الاحباش من اليمن ، لم تتوقف العلاقات التجارية بين العرب والاحباش ، وكانت الحركة التجارية بين ميناء الشعبية وميناء عدول الحبشى دائبة . وقبيل الاسلام بيضع عقود ، تحدث العرب عن ملكين من ملوك الحبشة ، احدهما كان يدعى « أبجر » وكان سابقا لعصر الرسول ، والآخر ابنه واسمه « أصحمة » وهو معاصر للرسول . وكان بينه وبين المسلمين مودة ، ويفسر المؤرخون المسلمون هذا التعاطف أن الاحباش ثاروا على الملك أبجر وقتلوه ، كما أبعادوا ابنه أصحمة ، وتخلصوا منه بأن باعوه الى رجل عربى من قبيلة بنى ضمرة ، فأخذه الى بلاد العرب ، وظل أصحمة يرعى الغنم لسيده العربى ، حتى مات ملك الحبشة المغتصب للعرش دون أن يكون له ولد يخلفه على العرش ، ولم يجد الاحباش مفرا من استدعاء أصحمة من بلاد العرب ، وأجلسوه على العرش ، وظل يحكم الحبشة حتى توفى فى السنة التاسعة من الهجرة . ولم ينس أصحمة مالقىه من معاملة طيبة فى بلاد العرب ، فكان متعاطفا معهم (١٣٨) ، ومع الدين الجديد الذى التف حوله الفقراء والمضطهدون والرقيق ، ومن ثم كان يفهم مبادئ الاسلام لانه خبر العيش بين العرب وعرف ظلم الجاهلية .

وفي فجر الدعوة الاسلامية ، لما اشتد ايذاء كفار قريش للمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ورجعهم بقوله : « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فإن فيها ملكا لا يظلم أحد عنده ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » (١٣٦) . فخرج المسلمون متسللين سرا ، حتى أتوا ميناء الشعبية ، منهم الراكب والراجل ، وانتظروا عند الميناء حتى جاءت سفينتان للتجار حملوهم فيها ، مقابل نصف دينار لكل فرد (١٣٧) . ويقول ابن خثيمة عن عكرمة « ان هرا من قريش مروا بجزيرة من جزائر البحر الاحمر ، فاذا هم بشيخ من جرهم فقال من أنتم ؟ » (١٣٨) .

وقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قرار تهجير المسلمين الى الحبشة بعد تفكير طويل ، ووفق سياسة محكمة ، وما كان ذلك يتم نولا معرفة العرب القديمة بالحبشة وبأرضها وبقبائلها ، فقد « كانت أرض الحبشة لقريش متجرا ووجها » (١٣٩) ، وكان كبار تجار قريش دائمى التردد والترحال اليها ، مثل عمرو بن العاص وعمارة بن المغيرة (١٤٠) ، ولقد كانت هجرة المسلمين الى الحبشة على دفعتين الاولى كانت وفدا سلاميا ذهب ليتعرف على الحبشة ، ومدى رغبة النجاشي في استقبال المهاجرين (١٤١) . وقد أقام هذا الوفد شهرين في بلاط ملك أكسوم يتفاوض حتى حصلوا على موافقته ، بعدها تدفق المسلمون على بلاد الحبشة مطمئنين على أنفسهم وعلى دينهم الجديد ، وقلم شعراؤهم فيها قصائد يمجون فيها كفار قريش ، ومن أشهر شعراء المهجر عبد الله ابن الحارث ، وعثمان بن مطعون ، ويلاحظ الدارسون أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار مندوبا عنه لدى بلاط ملك الحبشة ، وهذا المندوب هو عمرو بن أمية من بنى ضمرة (١٤٢) ، وهى قبيلة عربية لها تاريخ عريق فى التعامل مع الاحباش ، فما من شك أن دراسة تاريخ قبيلة بنى ضمرة وتتبع فروعها سوف يكشف تفاصيل كثيرة عن تاريخ العلاقات بين العرب وشرق أفريقيا قبل الاسلام . والذي لاشك فيه أن هذه العلاقات الطيبة

بين بلاد العرب والحبشة ، وحسن استقبال ومعاملة اللاجئين المسلمين المهاجرين ، هى التى جعلت الفتوحات الإسلامية فيما بعد تتفادى فتح الحبشة ، بل تركتها وشأنها ، بل لعب الاحباش دورا فى الدعوة الإسلامية ، ويكفى أن نشير الى بلال الصحابى ومؤذن الرسول •

ومنذ هجرة المسلمين ، لانسمع شيئا عن الحبشة ، فقد انطوت على نفسها بعد تدهور ميثاء عدول ، همزة الوصل بينها وبين العالم الخارجى • وبعد فقدان دولة الروم لممتلكاتها فى مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام ، قطع الجسر البرى والبحرى الذى كان يربط بين الحليفتين ، فتوقفت سوق أكسوم ، فحل به الكساد وهجره التجار ، ولم نسمع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٦٣٤م أن أحدا من العرب قد وطأت قدماء أرض الحبشة ، الا ما كان من أمر حملة بحرية صغيرة ، ارسلها عمر بن الخطاب - ثانى الخلفاء - وذلك فى عام ٦٤١م ( ٢٠ هـ ) الى ساحل الحبشة ، ولم تكلل بالنجاح • ومنذ ذلك الحين ظل المؤرخون والجغرافيون المسلمون يجهلون أرض الحبشة وأخبارها ، فقد شغل العرب بالشمال ونسوا أمر الجنوب ، حتى جاء المقرئى عام ٨٤٥م • فكان أول مؤرخ عربى ذكر أخبارا صحيحة عن أقاليم الحبشة وتاريخها ، أى بعد أكثر من قرنين من الصمت الكامل عن علاقات العرب بشرق أفريقيا • غير ان انتشار الاسلام فى شمال أفريقيا بعد طرد الروم منها خلال الفترة من ٦٧٠ - ٦٨٣ م ، وتحول شمال غرب أفريقيا الى بلاد عربية اللسان ، مسلمة العقيدة ، أدى الى تسلل الحضارة العربية والدين الإسلامى الى غرب أفريقيا ووسطها ( ١٣٦ ) ، وأقبل زنوج النيجر على الاسلام الذى أخذ ينتشر ومعه الحضارة العربية ، ولا يزال الاسلام يحتل مركزا عاليا شمال غابات أفريقيا المطيرة ( ١٣٧ ) •

### هوامش البحث

١ - جيمس برستيد ( ترجمة أحمد فخرى ) انتصار الحضارة ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١١ وكذلك أنظر

J.H. Breasted : A History of Egypt From the Earliest Times to the Persian Conquest, Vol. II, 1927, p. 126; K. Sethe : Urkunden des Aegyptischen Altertums, Vol. I, p. 120-127, p. 128-131.

٢ - ترجم هذا النقش الى العربية الاستاذ الدكتور أحمد فخرى في كتابه مصر الفرعونية : ( القاهرة ١٩٥٧ ) ص ١٢١ - ص ١٢٢ =

Breasted, J.H, Ancient Records of Egypt, 1906, Vol. I.

٣ - أنظر أنظر : سيد أحمد الناصرى « التأثير الرومانسى للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط من الغزو الفارسي حتى العصر القبطى » ( مقال ) ( ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ) الناشر دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

٤ - عبد المنعم أبو بكر : « مضمون الحضارة الافريقية في الحضارة المصرية » ( مقال ) ( مجلة رسالة افريقيا ، العدد الخامس ، القاهرة ١٩٧٣ ص ١٢ ) ، أنظر محاضرة الرئيس السنغالى لبوبولد سنجوز التى القاها فى جامعة القاهرة يوم ١٦ فبراير ١٩٦٧ بمناسبة منحة درجة الدكتوراة الفخرية بعنوان « أسس الافريقانية أو الزنجية والعروبة » نشرت فى مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٧ ، خاصة ص ٢٣١ و ص ٣٩ .

(5) A.J. Arkell : A History of Sudan to 1821 (London 1962) p. 87.

٦ - و.و. امرى ( ترجمة تحفة هندوسة ) مصر وبلاد النوبة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨٩

(7) J. Quibbell : Excavations at Saqqara, London 1905-6 Pls. XXVI-XXIX; P. Perdrizet : Les Terres - cuites grecques de la Collection Fouquet, Nancy, 1921, p. 43.

٨ - أنظر أحمد فخرى : المرجع نفسه ص ٢٣٢ وكذلك أنظر : جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحه فى المحيط الهندى فى العصور القديمة ( ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥١ ص ٣٠ وكذلك

انظر تقولا زيادة « دليل الملاحة وتجارة الجزيرة العربية » الجزيرة العربية قبل الاسلام ( دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثانى ) الرياض ١٩٧٩ ص ٢٥٩ وما بعدها ، شوقى عطا الله الجمل : تاريخ كشف افريقيا ، الطبعة الثانية مكتبة الانجلو ١٩٨٠ ( ص ١١٨ - ١٢٠ ) .

(9) W. H. Fairman, Ancient Egypt and Africa, African Affairs, Congress of African Studies, Royal Society of African Studies March (1965) pp. 1-15.

شفيق غلام « بعض العوامل الحضارية التى وصلت مصر من البلاد الشرقية فى عصر ما قبل التاريخ ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثانى : الجزيرة قبل الاسلام ، جامعة الرياض ١٩٧٩ ص ٣٣١ - ٣٣٥ .

(10) E. Droiton and J. Vandier : les peuples de l'Orient mediterranean, II, l'Egypte, (Paris 1936) p. 513.

وعن انتشار الاسماء المصرية بين الافارقة انظر :

Arkell, op. cit., p. 114; F. Griffith, The University of Oxford: Excavation in Nubia (no. X, 1921 p. 171.

كما يلاحظ المهتمون بدراسة الالوان المصرية ودلالاتها أن اللون الاسود أو الاسمر هو اللون المقدس عند المصريين لانه اللون المستخدم فى تصوير اوزير ، كما كانت تدهن به الشعور المستعارة للالهة وكذلك لحامها ، بل أن ارضيات المعابد وجدرانها الداخلية كانت تطلّى باللون الاسود ، كما أن ايزيس اعتبرت ربه ارض مصر السوداء ، انظر المقال الطريف : ضحى مصطفى « الالوان ودلالاتها التاريخية فى مصر القديمة » مجلة المؤرخ المصرى ، العدد الخامس يناير ١٩٩٠ ، ص ١٤ و ص ٢٧ . ، أيضا انظر : على عبد الله الخاتم : اثيوبيا والاثيوبيون بين المصادر الاثرية والمصادر اليونانية ( رسالة ماجستير تحت اشراف د. سيد احمد الناصرى ، كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٩ وكذلك راجع امرى ، المرجع السابق ص ٢٣١ .

(11) «Necho and the Red Sea, Some Considerations, J.E.A., Vol. 63 (1977) p. 151.

١٢ - جورج سارتون : تاريخ العلم القديم في العصر الذهبي اليوناني  
( ترجمة ليف من العلماء ) دار المعارف بمصر ١٩٥٧ ص ٣٨١

(13) Herodotus, Book IV, 42.

(14) Sabatino Moscati (translated by Alastair Hamilton),  
The World of the Phoenicians, Weidenfeld and Nicolson, London  
1968, p. 86.

(15) E.M. Cary and E.W. Warmington, The Ancient  
Explorers, Pelican Series, 1964, pp. 114-115.

(16) Ibid, p. 115.

(17) Herodotus, Book II, 30.

وللترجمة العربية انظر : هيرودوت يتحدث عن مصر ، ترجمة  
محمد صقر خفاجه وتقديم وشرح وتعليق أحمد بدوي ، دار  
القلم ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .  
١٨ - نقولا زيادة ، المقال السابق ص ٢٥٩ .

١٩ - وهذا هو رأي أغلب علماء الاجناس الذي لخصه الرئيس ليوبولد  
سينجور في محاضراته « الافريقية والعروبة » ، المقال السابق  
انظر هامش ٤ ، وهامش ٩٠ ، وهامش ١١٨ وكذلك انظر :

J. Vandier : Manuel d'archaeologie egyptienne, tome 1 er  
(l'Epoque de Formation) Paris 1952) p. 10 ff.

وكذلك قارن شفيق علام ، المقال السابق ص ٣٣٢ .

Also cf : Caton Thompson, «The Evidence of South  
Arabian Palaeolith in the Question of Pleistocene Land Con-  
nections with Africa» Pan-African Congress on Pre. history,  
Proceedings of the Third Congres Livingstone (London 1957),  
PP. 383.

٢٠ - رشيد الناضوري : المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الدار القومية  
للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٥ - ٦٦ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ،  
و ص ١٥١ .

(21) E.W. Warmington in Oxford Classical Dictionary Sub  
Libya.

(22) Herodotus, Book II, 30; Book III, 10; Cary and War-  
mington op cit., pp. 43, 86 and p. 165.

٢٤ - نقولا زيادة : المقال السابق ص ٢٥٩ ، جورج حوراني المرجع  
السابق ص ٣١١ .

(24) Sykes, Percy : The Story of Exploration and adventure, Vol. I, London 1949, p. 196; D.E Hayes, The Antiquities of Tripoltania Tripoli, 1965, p. 99 ; P. Romanelli, Leptis Magna, 1959, p. 3-4.

(25) Romanelli, Ibid, p. 3.

٢٦ - م روستوفتزو ( ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم ) تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، دار النهضة ، المصرية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٨١ .

٢٧ - دونالد وايدنز ( ترجمة على أحمد فخرى وشوقى عطا الله الجمل وتقديم عبد الملك عوده ) تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، الجزء الاول ، مؤسسة سجل العرب القاهرة ص ٢٥ .

(28) Herodotus, Histories (translated by Audbrey Selincourt, Perguin Classics London 1966, p. 326.

(29) Moscati, op. cit. p. 124 and pp. 181-184.

(30) Athenaeus, II, 44.

(31) Moscati, op. cit., p. 184.

(32) Ibid, p. 86.

٣٣ - دونالد وايدنز : المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٧ .

٣٤ - المرجع نفسه ص ٢٦ .

(35) Oxford Classical Dictionary, loc. cit. (Sub Libya)

(36) P. M. Frazer ; Ptolmaic Alexandria, Oxford 1972, Vol. 1, p. 175. ;

(37) A.H. Jones and Elizabeth Monro : A History of Ethiopia London, 1964, pp. 24-25.

٣٨ - جرس أحمد جولييد : مقديشيو عبر التاريخ ( رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاداب جامعة الخرطوم ، ص ١٢٣ ، وكذلك انظر :

P.M. Frazer, op. cit., p. 175.



(39) W.W. Tarn and G. Griffith, *Hellenistic Civilization* p. 246; Frazer, op. cit., p. 176-179.

وهناك ترجمة عربية لهذا الكتاب بعنوان : الحضارة الهلنستية  
ترجمة عبد العزيز توفيق ، القاهرة . ١٩٦٦ ، ص ٢٥٩ .

(40) J. Ball, *Egypt in the Classical geographers*, Cairo 1942,

٤١ - جورج حوراني ، المرجع السابق ص ٥٧ .

٤٢ - ابراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالة ، الجزء الثالث ،  
ص ٣٣٥ اعتمادا على رأى بريوت .

(43) Theocritus, *Idyl. XV* (edited by A.S. Gow with  
Commentary and translation, Vol. III, Cambridge 1950.  
pp. 159-160.

٤٤ - على عبد الله الخاتم ، البحث السابق ، ص ٨٩

(45) W.W. Tarn and Griffith, op. cit., pp. 246-147.

٤٦ - حرس أحمد جولييد : البحث السابق ص ١٠١ - ١٢٩ .

(47) Tarn. op. cit. p. 246.

(48) E. Bevan : *History of Egypt under the Ptolemaic  
dynasty* Methuen and Co. Ltd., London 1927, p. 245 ; F. Hintze :  
*Civilization of the old Sudan*, Berlin 1967, pp. 21-27.

وكذلك ابراهيم نصحي : المرجع السابق الجزء الثالث ص ٤٠٤  
نقلا عن الاستاذ جوجيه Jouguet وكذلك حوراني المرجع  
السابق ص ١٠٠ - ١٠١ ، على الخاتم : البحث السابق ص  
٩٠ ، حرس جولييد ، البحث السابق ص ١٢٩ .

(49) B.G. Haycock; *Landmarks in Kushite History*, J.E.A.  
(1968) p. 229.

(50) Tarn op. cit., p. 120; Pierre Grimal & Others : *Hel-  
lenism and the Rise of Rome*, Weidenfeld and Nicolson 1968,  
p. 291.

(51) Tarn op. cit., p. 247.

٥٢ - نقولا زيادة : المقال السابق ص ٢٦ .

(53) Athenaeus, IV, 148, B.

(54) E. Breccia, Terracotte Figurate, Vol. I, P. 63; Perdrizet op. cit., 168; G.H. Beardsley : The Negro in Greek and Roman civilization (John Hopkins University, Studies in Hellenic Studies, Vol. 49 (1929) P. 39.

٥٥ - ديتلف نيلسن و فرتز هولم ، ول رودو كاناكيس وادولف جرومان : التاريخ العربى القديم ترجمة واستكماله الدكتور فؤاد حسنين على ، وراجعه الدكتور زكى محمد حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٣ .

R. Bagnall : The Administration of the Ptolemaic Possessions outside Egypt, Leiden E.J. Brill 1976, P. 151.

(56) P.M. Frazer, op. cit. P. 178.

٥٧ - عبد اللطيف احمد على : مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ ص ٦٤ ، سيد احمد الناصرى : مصر تحت حكم الاغريق والرومان من الفتح المقدونى حتى الفتح الاسلامى ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

٥٨ - سيد احمد على الناصرى : المرجع السابق ص ١٦٩ - ١٧١ ، شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها : الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٠ - ٤١ .

Warmington, loc. cit (in Oxford Classical Dictionary) sub Libya ; Cary and Warmington, op. cit., PP. 45 ff, 62 ff, 88 ff and P. 165 f.

(59) S. Chapman and O. Dunham : The Royal Cemeteries of Kush Boston (1952) P. 8.

٦٠ - مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٧ .

(61) G. W. Van Beek, «Monuments of Axum in the Light of South Arabian Archaeology», Journal of the American Oriental Society, 37 (1967), PP. 113-122.

٦٢ - عبد المنعم عبد الحليم سيد « الاصول الحضارية المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الاسلام ( دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثانى : الجزيرة العربية قبل الاسلام ) جامعة الملك سعود ، الرياض ١٩٨٢ ص ٣٥٩ .

(63) M.K. Abdelaem : Alexandria Trade in Aromata in the Graeco. Roman Times, Un-published M.A. Thesis, Alexandria Univ., 1952.

وقارن ذلك بما جاء في مقاله « تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني ( دراسات تاريخ الجزيرة ، الكتاب الثاني ، ص ٢٠١ ، ٢٠٩ .

٦٤ - حوراني المرجع السابق ص ٣٠ وكذلك انظر :

J.I. Miller : The Spice Trade of the Roman Empire From 29 B.C. to 641 A.D., Oxford, The Clarendon Press, 1969, P. 21.

(65) Edward Ullendorf : The Ethiopians - An Introduction to Country and People, Oxford University Press, 1960, Chapter IV, P. 49.

(66) Ullendorf, op. cit., Chapter VI, PP. 118-120.; cf; Sylvia Pankhurst : Ethiopia and its Cultural History with a Forward by Rev. Canon John Douglas, Lalibella House, Essex (1955), P. 48.

٦٧ - حسن أحمد جوليد : المرجع السابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

٦٨ - سيد أحمد على الناصري : الصراع على البحر الاحمر ( دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني ) : الجزيرة العربية قبل الاسلام ص ٤٠١ - ٤٢٨ ( ص ٤٢٢ ) مع تجاهل تعليقات من يطلق على نفسه اسم المحرر لانها متحذلقه ولا يفهم اليه البحث .

٦٩ - المقال السابق : ص ٤٢٢ .

٧٠ - سيد أحمد على الناصري : الرومان والبحر الاحمر « سمنار الدراسات العليا للتاريخ البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، أبحاث الاسبوع العلمى الثالث ، ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩ ، ص ٣٠ نقلا عن

J.I. Miller, op. cit., P. 10.

٧١ - محمد عبد الفنى سعودى : قضايا أفريقية - الكويت ١٩٨٠ ، ص ٨٤ ، محمد السيد غلاب : التجارة في عصر ما قبل الاسلام ، الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ص ١٨٩ - ١٩٨ .

٧٢ - سيد احمد على الناصري : المقال السابق ، صفحات ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ .

٧٣ - محمد عبد الفنى سعودى : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(74) W.H. Schoff, The Periplus of the Erythraean Sea  
(Translated From Greek) New York and London, 1912.

وقد قام الاستاذ نقولا زيادة بترجمة الفصول من ١٩ الى  
وعلق عليها فى مقاله السابق .

وكذلك انظر :

Lionel Casson: The Periplus Maris  
Erythraei [Text with Introduction Translation and Commem-  
entary] Princeton University Press 1989, p. 19, p. 283-289.

كما أن هناك ترجمة عربية كاملة لكتاب الطواف تحت الطبع لصاحب  
البحث .

٧٥ - نقولا زيادة المقال السابق ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

٧٦ - يقول طرفه بن العبد فى وصف ميناء عدول :  
عدولية أو من سفين اين يامن : يجور بها الملاح طوراً ويهتدى

٧٧ - عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، دار الفكر العربى  
القاهرة ( بدون تاريخ ) ص ١٩ .

٧٨ - أطلق الجغرافيون المسلمون على المنطقة الممتدة من زيلع -  
مقديشيو اسم أرض البربر ، واعتقدوا خطأ أن زيلع هى  
أرض اليمن لشدة ارتباطها السكانى والاقتصادى بالجزء  
العربية ، كما اعتقدوا خطأ أن خليج عدن هو بحر البربر : انظر  
ابن خردادبة ( أبو القاسم بن عبد الله بن خردادبة ) ط  
برائيل ليدن ١٣١٦ هـ . ص ٦١ ، وكذلك انظر نقولا زيادة  
المقال السابق ، ص ٢٧٦ وما بعدها .

٧٩ - أسقط مؤلف كتاب الدوران حول البحر الأحمر سهواء أو ح  
اسم ميناء الجرعاء Gerrha ( ميناء الهفوف حالياً على السوا-  
ل الشرقى للمملكة العربية السعودية ) من قائمة الموانئ الهامّة  
ربما لان أهمية هذا الميناء كانت قد تضاءلت بعد تأسيس وأزد  
ميناء أبولوجوس ( الأبله ) ، انظر نقولا زيادة المرجع السابق  
ص ٢٦٣ - ٢٦٩ .

٨٠ - انظر حسن جوليد : رسالة الماجستير السابقة الذكر ،  
١٤٠ - ١٤١ ، وقارن ترجمة الفصل الثلاثين من كتاب دوران  
الدوران حول البحر الاحمر ترجمة نقولا زيادة ، المقال السابق  
ص ٢٦٧ .

(81) Strabo; Geographia, xviii, I, 13.; Pliny : Historia Naturalis. XII, 87.

(82) A. Paul, A History of the Beja tribe of the Sudan, London 1940, pp. 23-25.

وكذلك انظر شفيق علام ، المقال السابق ، ص ٣٣٢ وما بعدها ، حيث رصد الجذور السامية في اللغة المصرية القديمة .

٨٣ — مصطفى محمد مسعد : « بعض مظاهر العلاقات في الجزيرة العربية وأوطان البجة بشرق السودان قبل الاسلام » ، الجزيرة العربية قبل الاسلام ، المجلد الثاني ، الرياض ١٩٨٢ ( من ص ٣٩١ - ٣٤٠ ) وبالدأت ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

٨٤ — هذا هو رأى استاذنا الدكتور مصطفى مسعد نوره على سبيل الامانة العلمية ، ورغم أن الدليل ينقصه لكنه أقرب الى الحقيقة والله أعلم .

(85) H.A. McMichael. A. History of the Arabs in the Sudan ,Vol. I. London 1949, p. 3-4.

٨٦ — حسن جويلد الرسالة السابقة ، ص ٢٦ .

٨٧ — ياقوت : معجم البلدان ، ص ٣٢٣ .

٨٨ — ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ص ٢٥٨ .

٨٩ — مصطفى مسعد : المقال السابق ، ص ٢٩٧ .

٩٠ — تقتضى الامانة العلمية أن أنقل رأى الاستاذ الدكتور مصطفى مسعد كما ذكره ، غير اننى استبعد أن يكون اسم « داروا » اسما عربيا ، لانه أغلب الظن تحريف لاسم داريوس الملك الفارسي . فلا اذكر على حسب علمى اسماء عربية قديمة بهذا الاسم ، الا اذا صححنى المتخصصون في اللغات السامية أو العربية الجنوبية .

ناحية أخرى يرى الاستاذ « فان بيك » Van Beek في مقدمة كتابه مونتهجرى في طبعته الثانية انه كانت هناك دولتان كل منها تعرف بسبأ واحدة ذكرتها التواراة باسم شيبا وهى سبأ الام في جنوب الجزيرة ، والثانية باسم سيبا وهى سبأ الافريقية ( سفر التكوين ١٠ - ٧ ) كانت تابعة السبأ الاولى طوال الالف الاول قبل الميلاد انظر:

James A. Montgomery : Arabia and the Bible [Prolegomenon by Gus. W. Van Beek], Ktav publishing House Inc., 1969, (P. XIV by Van Beek), and P. 142 (by Montgomery).

٩١ — انظر مصطفى مسعد المقال السابق ، ص ٣٩٧ .

- ٩٢- انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب ، نشر الاكوع ص ٢٧٣ .
- ٩٣- عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ١١ .
- ٩٤- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق نفس الصفحة .
- ٩٥- G.A. Wainwright , Early Foreign Trade in East Africa ,  
Man, Vol. XLVII (November 1947) p. 143.
- وكذلك انظر الطبري ، الجزء الاول ص ١١٨١ .
- ٩٦- Jones and Monroae, op. cit., p. 25. ; Budge, A History of  
Ethiopia vol. 1. London 1938, p. 193.
- ٩٧- جاء في الاساطير الحبشية أن ملكها هو ابن الانثى الشمسية المسماة  
ماكدا أو ماقدة ( اى بلقيس ) من البطل القمري حكيم ( اى سليمان )  
انظر :
- انظر : ديتلف نيلسون وآخرون : المرجع السابق ص ٣٦ وص ٢٢٧  
وكذلك انظر جواد على : « اديان العرب قبل الاسلام » ، دراسات  
تاريخ الجزيرة الجزء الثانى الجزيرة العربية قبل الاسلام ( من ص  
١٠٧ - ١١٤ ) وخاصة ص ١٠٩ .
- ٩٨- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص ١١ .
- ٩٩- نفس المرجع ص ١٤ .
- ١٠٠- عن ثورات اليهود على الرومان وطرد الرومان لليهود من فلسطين  
انظر كتابى : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ،  
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٨ ، دار النهضة العربية ص ١٧٨
- ١٠١- عن اليهودية والنصرانية فى جنوب الجزيرة العربية واهم كتب  
التراث العربى التى تحدثت عن ذلك هى : الاصفهانى ( حمزة بن  
الحسن ) تاريخ سنى الملوك ، الارض والانبياء ، مكتبة الحياة  
بيروت ١٩٦١ ، وكذلك الطبرى ( ابو جعفر محمد بن جرير تاريخ  
الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف  
بمصر ، القاهرة ١٩٧٠ ، انظر أيضا ابن اسحق ( محمد بن اسحق  
ابن يسار ) سيرة ابن اسحق ، المسماة بكتاب المبتدأ أو المبعث  
أو المغازى تحقيق محمد حميد الله ، الرباط ١٩٧٦ . وكذلك ابن  
هشام ، السيرة النبوية ، الجزء الاول ، تحقيق محمد محمد محيى  
الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بالقاهرة ( بدون تاريخ ) .  
وعن اليهود فى الجزيرة العربية قبل الاسلام انظر : اسرائيل  
ولفنسون تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام  
مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٢٧ .
- ١٠٢- انظر : Philip Hitti, History of the Arabs.
- ومن المعروف أن كنيسة نجران المونوفيزية رغم ما نزل بها من  
اضطهاد بقيت صامدة حتى ظهور الاسلام ، فقد ذهب وفد من  
نصارى نجران لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة

حيث اكرم الرسول وفادتهم وقام على خدمتهم بنفسه في مسجده بالمدينة المنورة ، واعتنق أغلبهم الاسلام ، بعد أن فتح عمر بن الخطاب اليمن ، وبقي بعضهم على دينه ، وقد أجلى عمر هؤلاء الى العراق . عام ٦٣٥ - ٦٣٦ م . ليعيشوا مع اشقائهم هناك ، وذلك حماية لهم من أى اضطهاد قد يتعرضون له .

١٠٣ - وحتى بعد دخول الاسلام الى اليمن ظلت صورة خاتم سليمان منقوشة على جدران المساجد العتيقة والاثريّة في اليمن .

١٠٤ - يعتقد البعض أن اسم عيزانا الحبشي هو تحريف لاسم اذينة Odenathus وهو اسم عربى شمالي ومن أشهر من تسماوا وبهذا الاسم اذينة ملك تدمر ، زوج الزباء ووالد وهب اللات وقد عثر صاحب البحث على احدى قطع النقود في القيوم لهذا الملك انظر :

S. EL-Nassery and G. Wagner. A New Roman Hoard from Karanis B. I. F. A. O, Vol. 76 (1975).

وعن اذينة انظر : د. سيد أحمد الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ؛ مصر تحت حكم الاغريق والرومان ص ٢٤٠ - ٢٤٥ .

١٠٥ - انظر عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

١٠٦ - عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

١٠٧ - هذه النقوش الاغريقية منشورة في

Corpus Inscriptorum Semiticarum, pars quarta. parisii 1899-1908. p. 398, nos. 1-17.

Conti Rossini :

— ١٠٨

«Expedition et possession des Habshat en Arabie».

Journal Asiatique (Jouillet - Septembre) 1921.

كذلك انظر عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ٢٨ - ٣١ .

١٠٩ - بسم الله الرحمن الرحيم : « ألهم خير أم قوم تبع ، والذين من قبلهم أهلكناهم أنهم كانوا مجرمين » سورة الدخان آية ٣٦ .

١١٠ - انظر عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص ٣١ .

١١١ - R. Dussaud, Pénétration des Arabes en Syrie, Paris 1955, p. 18 ff.

١١٢ - بسم الله الرحمن الرحيم : « والسماء ذات البروج (١) واليوم الموعود (٢) وشاهد ومشهود (٣) قتل أصحاب الاخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) اذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨) الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد (٩) . سورة البروج آية من ١ - ٩ .

( م ٥ - المصريون والعرب وعلاقاتهم بأفريقيا )

١١٣ — يرى عبد المجيد عابدين أن اسم أرياط هو تحريف للكلمة الحبشية « حواريات » أى « الحوارى » أنظر عبد المجيد عابدين المرجع السابق ص ٥٩ ، بينما يرى صاحب هذا البحث أن اسم أرياط هو تحريف لاسم أريطاس Arethas الذى تسمى به بعض ملوك الانباط ، ولفظ أريطاس هو التحريف الاغريقى الرومانى لاسم الحارث وهو اسم عربى شمالي ، أما الطبرى فيرى أنه اسمه كان ابا صحم ، وربما كانت تلك كنيته ، أنظر الطبرى الجزء الاول ص ١٩٣ . ويرى عابدين أن ابا صحم هو الاسم الاصلى وأن كلمة حوارى هى الكنية التى تدل على القداسة والتدين .

١١٤ — Encyclopaedia Britannica, under Falashs.

انظر عبد المجيد عابدين ص ١٦ .

١١٥ — الأكليل للهمدانى نشر نبيه فارس ص ١٥٦ ؛ عبد المجيد عابدين ص ٥٧ .

١١٦ — Philip Hitti, History of the Arabs, fifth edition, Revised, edition, London, Macmillan 1951.

١١٧ — انظر عبد المجيد عابدين المرجع السابق ص ٦٢ ، وكذلك جواد على « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، الجزء الثانى ، ص ١٩٨ - ٢٠١ .

١١٨ — Edward Ullendorff, The Ethiopians, Oxford University Press, 1960, 50, chaptes IV

تقول التوراة ( سفر التكوين ١٠ - ٦ ) أن شيبا وسبا وديدان وغيرهم من أبناء الجنوب العربى هم أبناء كوش الافريقى ، ومن ثم يعنى ذلك وجود اصل افريقى لسكان الجزيرة العربية ، غير أن الاستاذ مونتجمرى ينفى ذلك لاسباب تاريخية وسياسية رغم وجود العلاقات العرقية والحضارية عبر باب المندب فى العصور المتأخرة حتى أن التوراة نسبت عرب الجنوب لجند افريقى ، لكنه ينفى بشدة وجود أى علاقة بين شبه الجزيرة وافريقيا قبل القرن الثانى عشر ق . م ، والتى وصلت اقصاها فى القرن العاشر ق . م وحتى القرن السابع ق . م حيث بدأ السبثيون بهاجرون باعداد كبيرة الى افريقيا والحبشة أنظر : Montgomery, Arabia and the Bible, P. XIV, P. 42.

١١٩ — Kenneth Inghaw : East Africa, longmans 2nd edition; 1963, p 1 ff.

١٢٠ — كانت عيون امبراطورية الروم الشرقية مركزة على الجزيرة العربية منذ اواخر القرن الخامس الميلادى ، فقد سعت الى عقد معاهدة صداقة مع اماره مكة فى عهد اميرها هاشم بن عبد مناف الجد الاكبر للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم حذت اماره الفساسنة حذو الامبراطورية الرومانية الشرقية ففقدت معاهدة صداقة مع اماره مكة أيضا ، لانها كانت تابعة للروم ، وبمقتضى هذه المعاهدة سمح الروم لقوافل قريش أن تجوب مدن الشام التى كانت تدخل فى حوزة امبراطوريتهم ، خاصة سوق



بصرى فى حرية تامة ، مما ساعد على ازدهار اماره مكة ، وتحولها  
لمركز رئيسى لتجارة القوافل بين جنوب الجزيرة وشمالها .  
وهذا يدخل ضمن مخطط الروم لمحاربة النفوذ الفارسى فى الجزيرة  
العربية واعادتها الى النفوذ الرومى كميّرات عن الرومان .

١٢١ — أحمد الحوفى : الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلى ، الطبعة  
الخامسة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٢ ص ٩٧ وما بعدها .

١٢٢ — O'leary, De Lacy. : Arabia before Mohammed, p. 180.

١٢٣ — الطبرى الجزء الاول : ص ٩٤٥ .

١٢٤ — عبد المجيد عابدين ص ٢٦٣ .

Hitti, op. cit, idem.

١٢٥ — الطبرى الجزء الاول ص ٩٥٢ .

١٢٦ — المسعودى ( أبو الحسن على ابن الحسين على ) مروج الذهب  
ومعادن الجواهر ، الجزء الثانى ، تحقيق محمد محيى الدين  
الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ص ٢٥٠ .

١٢٧ — الطبرى : الجزء الاول ص ٥٥٧ الى ٩٥٨ .

١٢٨ — عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

١٢٩ — ابن اسحق ، السيرة ، ص ١٩٤ ، وابن هشام الجزء الاول ص ٣٣٠ .  
وابن الاثير الكامل ، الجزء الثانى ص ٧٦ .

١٣٠ — الصالحى : سبل الهدى ، جزء ٢ ص ٤٨٦ .

١٣١ — ناصر الرشيد ، المقال السابق ، ص ٢٦١ .

١٣٢ — الاصفهانى ، الجزء الاول ص ٥٦ .

١٣٣ — ناصر الرشيد ، المقال السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

١٣٤ — عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٢ .

١٣٥ — ابن مهمب ( ناصر الرشيد ، المقال السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ) .

١٣٦ — شوقى الجمل ، المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ ولذلك انظر :

Johnson, H.H. : A History of the Colonization of Africa  
by Alien Races (Cambridge 1913) p. 54.

ولنفس المؤلف ايضا انظر :

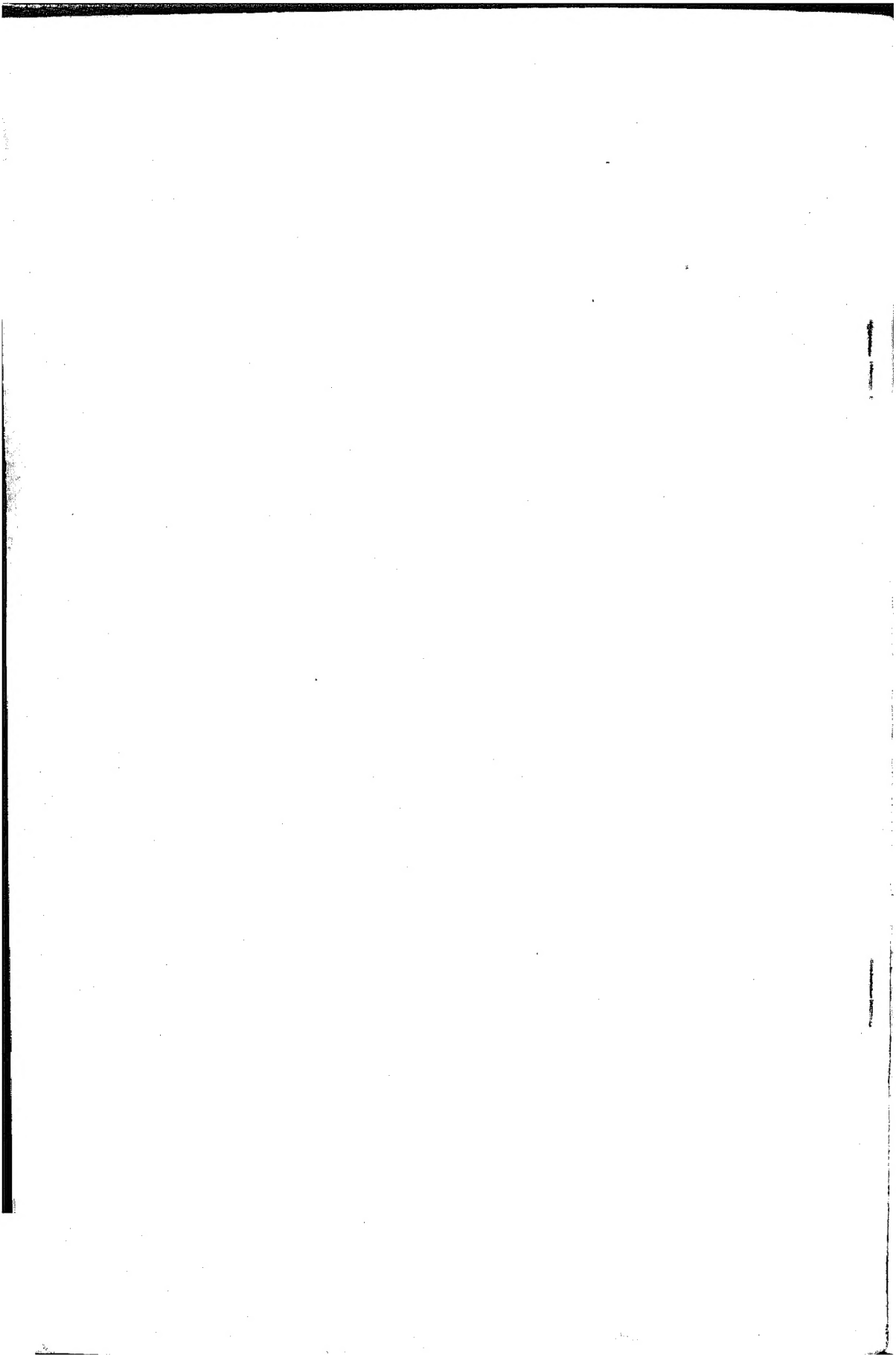
The Opening up of Africa, (London 1928) p. 146.

( تم بعون الله )

تم الطبع بمطبعة جامعة القاهرة  
والكتاب الجامعى  
المدير العام  
البرنس حموده حسين عمر  
١٩٩٠/٥/٣٠

رقم الايداع ١٩٩٠/٤١٩٣

الترقيم الدولى ٢ - ٥٨٩ - ٠٤ - ٩٧٧



شماره مسلسل

۸۰۰۰